X بلد الولاد



مصطفى فتحي

SHABABOOKS
جدد قلمك

في بلد الولاد!!

حكاية شبابية .. حقيقية!

مصطفى فتحي

عن

SHABABOOKS

حمد قلبك

ظهرت شباب بوكس لتقدم
إلى الوسط الثقافي العربي
مجموعة جديدة من الكتب
المميزة التي أبدعها شباب
في سن العشرينيات

SHABABOOKS
جمد قلمك
www.ShababBooks.com

فريق عمل في بلد الولاد :

المدير العام: أماني التونسي
amani.eltunsi@shababbooks.com

تأليف: مصطفى فتحي
mostafathi@shababbooks.com

مدير التوزيع والتسويق: محمد دحدوح
002 0103623838
Mohamed.dahdouh@shababbooks.com

تصميم الغلاف: أحمد بدر
mrahmedbadr@shababbooks.com

تصحيح لغوي: أحمد منتصر
تقديم: مروة رخا
شكر خاص: صبري سراج
الناشر: شباب بوكس



رقم إيداع : 2009/8023

الكتاب يعبر عن وجهة نظر الكاتب وقد نشرته الدار إيمانا منها بحرية التعبير

إلى كل "إنسان" يحترم الآخر..

أهدي هذا الكتاب

جميع الأحداث والأسماء الواردة
فى هذه القصة من خيال
المؤلف وأى تشابه بينها وبين
الواقع مجرد مصادفه

تقديم..

سبحان الله يا أخي على الناس إللي بتفرض رأيها على غيرها ..
هو ربنا إمتى اتنازل عن صفة الألوهية وعملها "دايفيرت" للبشر ؟
إمتى قال لكل واحد إنه من حقه يحاكم إنسان تاني باسم
التدين والقيم والمبادىء ؟

إمتى و فين قال يا بني آدم من حقك إنك تحيي وتميت ؟
إمتى قال إنك لما تقابل واحد في الشارع تفكر في عاداته الخاصة
وميوله الجنسية ؟..

النهاردة إنت بتشاور على "المثلي" وبتتهمه بالشذوذ .... لكن
اسمح لي أقولك إن لو في حد شاذ هنا فهو ليس المثلي ...
الشذوذ بعينه هو إنك أول لما تقابل حد تفكر في عاداته الجنسية
وتصرفاته في السرير !

أخي المواطن دع الخلق للخالق ... وخليك في حالك

Do not judge a man or a woman before you have walked a mile in his or her shoes!

مروة رخا

كلنا بشر!!

"إنت بتعمل إيه؟" جملة قالتها لي أمي السيدة المصرية البسيطة والتي لا تختلف كثيرًا عن أغلب الأمهات المصريات متوسطات التعليم، أجبتها قائلا: "أنا بكتب كتاب عن المثلية الجنسية"(Homosexuality) .. سألتني بكل طيبة "يعني إيه يا بني الكلام ده؟" .. أخبرتها عن معنى جملة "المثلية الجنسية" فنظرت لي بذهول ثم قالت: "إنت لازم تكتب عنهم كلام زفت وتطالب الناس تضربهم بالجزمة .. والمفروض الحكومة تموتهم في ميدان عام!!".

أمي ليست هي الوحيدة في مصر التي تفكر بهذه الطريقة .. هي نموذج لملايين المصريين الذين يعتبرون المثليين شياطين يعيثون في الأرض فسادًا .. ويجب قتلهم .. وما أتعجب له حقا هو أننا صنعنا من المثلية تابوهًا جديدًا يضاف لمجلدات المحرمات التي نعيش بينها هنا، رغم أن المثلية موجودة في مجتمعاتنا العربية منذ القدم، منذ أن تغزل بعض الشعراء والأقدمين بالغلمان في أشعارهم علنا..

"كتاب عن المثلية الجنسية؟ .. إنت اتجننت؟ .. عايز تقلب الدنيا عليك؟" هكذا هو رد فعل أغلب زملائي في الوسط الصحفي والأدبي -تخيل!- عندما علموا أنني بصدد إصدار هذا الكتاب .. ودائمًا سبب خوفهم من التجربة هو أننا نعيش في مجتمع لا يحبذ مناقشة ما خلف الأبواب المغلقة .. ولا تتعجب عندما تعلم أن أحد زملائي خيرني إما أن أنشر هذا الكتاب أو نظل أصدقاء!!

غريب أمر مجتمعنا .. تحدث به أشياء عدة هي أقرب إلى الكوارث الاجتماعية لكن تظل مناقشتها خطوطا حمراء لا يجب تخطيها!

ولكن لماذا أنا مُصر على ظهور هذا الكتاب للنور رغم كل التحذيرات؟ إجابتي على هذا السؤال ستعرفها -عزيزي القارئ- عندما تسمح لي أن أقص عليك موقفا حدث لي منذ فترة .. وبالتحديد في واحدة من اللقاءات التليفزيونية .. كنت في تلك الفترة أعمل مدير تحرير لواحدة من أهم المجلات الشبابية في مصر .. وقتها سألني مقدم البرنامج -وهو بالمناسبة برنامج شبابي شهير- "إيه أكتر حاجة استفدتها من عملك في مجلة موجهة للشباب؟"

أخبرته وقتها أن عملي في مجلة موجهة للشباب أعطاني القدرة على التعرف بنماذج مختلفة وعدة من الشباب المصري .. عملي جعلني أقترب من أبواب مغلقة بأقفال ثقيلة .. كثيرة .. تداري حكايات يشيب لهولها الولدان، ويحيطها حراس يشكلون مجتمعًا أدمن تجاهل

موضوعات وقضايا كثيرة وفضل إخفاءها في أدراج الإهمال والخوف من المواجهة.

وكان "عصام" الشاب المثلي المصري -الذي حدثني عن همومه ومشاكله وأحلامه وحكى لي أحداثا هامة جدًا في حياته- هو مفتاح السر الذي جعلني أبدأ في تنفيذ هذا الكتاب. "عصام" كان بالنسبة لي خريطة إنسانية ساعدتني على فهم جزء كبير مما يتعلق بالمثلية الجنسية من الناحية النفسية والاجتماعية والدينية، وجعلني أنظر للمثلي نظرة مختلفة تمامًا، نظرة أساسها هو "كلنا بشر"!

أنا هنا لا أروّج لأي فكر من أي نوع، ولا أقوم بدور القاضي الذي يحاسب البشر على أفكارهم واختياراتهم، فقط أطلب منك أن تقرأ كتابي هذا بهدوء وتعطي لنفسك فرصة للتعرف بعوالم جديدة من الخبرات والتجارب، وتذكر دائمًا أن كل الأحداث القادمة حقيقية وحدثت بالفعل!

لا أعتبر هذا الكتاب قصة أدبية بقدر ما أعتبره توثيقا لفكر شاب مصري مثليّ يعيش في مجتمع مسلم، له عادات وتقاليد معينة، لذلك قررت أن أكتب كل شيء كما حكاه لي بطل القصة الحقيقي، بدون عمل فلتر أو القيام بدور الرقيب على أفكاره ونظرته للحياة، وفضلت أن أجعل كل شيء على لسانه.

لا أدعي أنني عرفت كل شيء عن عالم المثلية الجنسية، لكني على الأقل اقتربت من ملف شائك وامتلكت الفرصة كي أنقلك معي إلى هناك .. حيث يعيش عصام!!

مصطفى فتحي

الجيزة - بولاق الدكرور - ٢٠٠٩

أدخل غرفتي .. تستقبلني زوجتي بابتسامة جميلة تعودت أن أراها على وجهها، بينما ينظر لي "عيسى" ابني الصغير الذي لم يتعد عمره الخمسة أشهر وأراه بعين الخيال يتساءل: "مين ده!" فأجد نفسي أحضنه وأقبله وأجيبه تلقائيًا: "ياض يا بن الكلب أنا أبوك!" فيبتسم..

أستبدل ملابسي بأخرى مريحة .. وأشغل جهاز الكمبيوتر وأطلب من زوجتي "حضريلي الأكل لحسن هموت من الجوع" .. وتلقائيًا يعلن لي "الماسنجر" أنني تلقيت رسالة جديدة على بريدي الإلكتروني .. أفتح الرسالة وداخلي رغبة ملحة في معرفة المرسل والمضمون وأبدأ في القراءة:

"صديقي مصطفى ..
أتمنى أن تكون بخير ..
أنا "عصام" .. اللي قابلتك في وسط البلد فاكرني؟!".

"يااااه .. "عصام" .. نعم نعم أتذكرك .. "عصام" الشاب المهذب الذي قابلته منذ أيام على مقهى البورصة .. الذي يعشق "محمد منير" بجنون".. أجري بعينيّ على سطور رسالته وأكمل القراءة..

"أكتر حاجة عجبتني فيك يا "درش" هي صدقك مع نفسك، ووضوحك واحترامك للآخر، وللاختلاف .. كل موضوعاتك على مدونتك وفي المطبوعات الصحفية اللي إنت بتشتغل فيها بتؤكد كلامي ده .. علشان كده حسيت إني عايز أحكيلك حكاية مهمة جدًا تخص حياتي .. وعايزك تنقل الحكاية دي للعالم كله .. بشرط إنك توعدني إنك تغير أسماء الأشخاص والأماكن لكن أرجوك متغيرش أي حاجة في التفاصيل"..

كنت أشعر أن هذا الشخص داخله قصة تستحق مني أن أقرأها .. البداية كانت باتصال تليفوني من رقم لا أعرفه ..عبر الهاتف جاءني صوت المتصل .. صوت هادئ إلى حد كبير .. لكنه صوت مميز لا يمكنك أن تنساه بسهولة، أخبرني أنه معجب بكتاباتي وبأفكاري الصحفية .. وبأنه قرأ كتابي الأول

والذي أعطاه - على حد تعبيره - شحنة كبيرة من الإيجابية وحب الحياة .. عرفني بنفسه في كلمات مختصرة ثم: "لو سمحت يا مصطفى أنا عايز أقابلك .. حابب أعرفك عن قرب!".

وعلى مقهى بسيط في شارع البورصة بوسط البلد جلست معه .. كنت أثق أن داخله تفاصيل كثيرة يريد أن يخبرني بها لكن هناك حاجز ما من الخوف يمنعه من الكلام بحرية .. إنسان رائع .. تفكير مختلف .. لكن هناك هذه النظرات التي تبحث عن الحقيقة .. نظرات غير مستقرة .. لكنها قوية!

"طششششش" .. من المطبخ يأتيني صوت شيء ما تلقيه زوجتي في الزيت .. ربما هي بطاطس في طريقها لأن تكون محمرة؟

أعود للإيميل مجددًا:

"بالتأكيد إنت لاحظت يا صاحبي إن جوايا حاجات كتير كان نفسي أقولها لك لكن الموضوع مكنش سهل .. مش عارف ليه يا مصطفى فيه حاجات كتير في الحياة لما بنعرفها بتيجيلنا صدمة .. حتى لو مكناش طرف مباشر في الحاجات دي .. يعني مثلا إنت متعرفنيش قوي ومع ذلك لو عرفت إن عندي الإيدز مثلا ممكن متقبلنيش في قائمة أصدقائك .. رغم إن كون إن عندي الإيدز أو لأ حاجة متخصكش في أي شيء ولا هتفيدك ولا هتضرك .. لكن الطبيعة البشرية دايمًا بترفض غير المألوف".

أفكر: ترى ما هو غير المألوف في حياة "عصام" ويريد أن يخبرني به؟!

"مصطفى .. مرفق مع الإيميل ده ملف بصيغة "Word" .. عايزك تقراه كويس هتعرف منه كل شيء عني .. هتعرف الحكاية اللي كان نفسي أحكيها لك بس مقدرتش .. أصل أنا شجاع على الورق وجبان في الحقيقة".

اقرأ يا مصطفى ..

هتفهم ..

وهتعرف..

مستعد؟!

صوت زوجتي يأتي من المطبخ: "يلا يا مصطفى الأكل جاهز" أنظر لمصدر الصوت وأجيب قائلا: "مش جعان خلاص .. مش جعان"..
قمت بحفظ الملف على جهازي وبعدها قمت بفتحه .. وحالتي النفسية تعلن:
نعم .. أنا مستعد!
وبدأت أقرأ !!

بنتولد !

"وكأني عصفور متدلع وفــ قلبه حكايات بتولع"..
صوت محمد منير دائمًا خلفية موسيقية لتجاربي في الحياة، لهمومي، لأحلامي، معه أكتب وأدوّن كل ما يمر بي من أحداث، "منير" بالنسبة لي حالة .. حالة ليست عادية .. في عالمي الصغير المريح "غرفتي" أجلس على مكتبي وأحاول أن أكتب البداية وصوت منير يؤكد:

لو هقدر أغير .. راح أغير".

أعود بذاكرتي إلى سنوات مضت حين كنت طفلا في السابعة من عمره، طفل أكثر ما يميزه هو خيالاته الواسعة القادرة على التحليق به في سماءات بعيدة، كنت أشكل من الطين الذي تخلفه الأمطار في شارعنا حيواناتٍ وطيورًا .. وبشرًا، سافرت كثيرًا فوق السحاب بصحبة طائرة ورقية اشترتها أمي لي، وتعودت أن أطير في شارعنا "أحد الشوارع الصغيرة في إمبابة" من بدايته إلى نهايته.

كانت أمي تضمني إلى صدرها وتحاول أن تتأكد أن شعر رأسي خال من القمل، و"الفلاية" دائمًا جاهزة لهذه المهمة، علاقتي بها كانت علاقة مثالية ..
وكنت أحبها بجنون وأعتبرها الأم الأجمل في الدنيا، تلك السيدة الأمية التي جاءت مع أبي من الصعيد وقررت أن تدعمه كيلا يتحول إلى مجرد رقم في مجتمع قاهري لا يرحم "الصعايدة" ولا يرى فيهم سوى مادة دسمة للنكات والقصص الطريفة،
هل قرأت رواية "الوتد" للروائي "خيري شلبي"؟ إذن سيسهل عليك أن تدرك نظرتي لأمي، لا أقصد

ديكتاتورية "فاطمة تعلبة" بقدر ما أقصد أصالتها وكونها "وتدًا" حقيقيا "حافظت على الهيبة في زمان بيذل".

أتذكر طفولتي وأنا أجلس ساعاتٍ طويلة مع أمي تحكي لي حكايات عن "أمنا الغولة" والرجل" أبو رجل مسلوخة" الذي سأجده تحت غطاء سريري لو نمت دون أن أغسل قدمي، وخطورة عدم غسل قدمي قبل النوم كانت تفسرها لي أمي دائمًا "علشان التعابين متشمكش"، كنت أسهر معها ساعات الليل ننتظر أبي حتى يعود من عمله، وفي الشتاء نجلس أمام "باجور الجاز" الذي يعطينا دفئا جميلا .. لكنه أيضًا جعل سقف بيتنا دائمًا "مهبب" بلون كئيب ..

أمي كانت دائمًا تعتبرني "طفلتها المدللة"، وليس "طفلها المدلل" كانت تحب أن تلبسني ملابس فتيات .. وحتى عمر الثمان سنوات كنت أرتدي "فستان بناتي" و"شبشب" بناتي بـ"وردة"! .. سعدت كثيرًا بخيارات أمي رغم سخرية الأطفال مني في منطقتي الشعبية .. وكانوا يطلقون عليّ لقب

"البنوتة"، استمتعت باللعب مع "البنات"، وكانت "العروسة" هي لعبتي المفضلة.

علاقتي بأبي كانت مختلفة تمامًا .. فهو بالنسبة لي شخص "عادي" .. يعمل في "مشتل نباتات" حكومي .. قاسي النظرات لا يحب الهزار أو اللعب .. ويضايقه بشدة أن يراني أرتدي ملابس بنات .. كان يكتفي بالضيق فقط ولم يقم بأي رد فعل آخر. لقد كانت أمي تعتقد أن تحويلي إلى فتاة هو خطوة عملية لحمايتي من الحسد خاصة أنني ابنهما الوحيد الذي رزقا به بعد سنواتٍ طويلةٍ من الزواج ..

لا تتوقف الحياة أبدًا في شارعنا، كل شيء يتحرك، وكل شيء دافئ جميل، والناس كلها تعرفني .. ولا تتوقف الجمل: "إزيك يا واد يا عصام"، "سلملي على أمك يا عصام وقولها متنساش فلوس الجمعية"، "تعالى يا عصام هاتلي باكو شاي من البقال اللي على أول الشارع" .. ودائمًا لا تتغير إجابتي: "حاضر" أقولها بكل حب وحماس طفولي يفخر بالمسئولية.

"حلوة قوي" .. أتحدث هنا عن "زينب" الوجه الأجمل

الذي شاهدته في حياتي، كانت هناك تفاصيل كثيرة
في شارعنا .. لكن تظل "زينب" هي التفصيلة
الأجمل على الإطلاق .. ودائمًا صورتها محفورة في
مخيلتي .. الوجه "المسمسم" والشعر الطويل
الناعم .. والفساتين القصيرة الملونة.
عشقت اللعب مع "زينب" .. ربما لأنها "جميلة"
ومن نفس عمري.. تسكن في الطابق الثاني في
نفس البيت الذي نعيش في الدور الأرضي منه .. كنا
نلهوا معًا على سلم المنزل .. وكانت أمها طيبة جدًا
تعطينا دائما "حاجات حلوة" نأكلها ونحن نلعب.
والد "زينب" "عم محمود" لا يختلف كثيرًا عن أبي،
قاسي النظرات ولا يفضل أن تلعب ابنته مع ولد
ودائمًا كان يضايقني بالجملة: "روح العب مع الولاد
يا بتاع البنات". لكني رغم كل شيء كنت ألعب مع
"زينب"!

مع "زينب" سافرت كثيرًا إلى عوالم صنعها خيالنا
.. واستمعنا معًا إلى أغاني "صفاء أبو السعود"
التي كانت تصر على "مع إنه خشب في خشب
في خشب لكن يستاهل تقله دهب" .. لم أكن
أعلم وقتها أنها تتحدث عن بينوكيو ذلك الطفل
الخشبي" الذي يزداد طول أنفه مع كل كذبة
يتشدق بها فمه.

أسمع أمي تتحدث مع أمها: "عصام بيحب زينب ..
لما يكبروا نجوزهم لبعض"! فترد أم زينب بتنهيدة: "يا
عالم يا أم عصام إيه اللي هيحصل بكرة" .. لم أكن
أحلم قط بأن تكون زينب زوجتي .. الموضوع مختلف
تمامًا .. كانت زينب هي "أنا" الذي حلمت به دائمًا ..
لماذا شعري ليس طويلا مثلها؟ هي ترتدي فساتين
قصيرة جميلة تطير معها كراقصة باليه محترفة
، بينما لم أعد أرتدي فساتين مثلها "لأني كبرت
وبقيت راجل" كما أصبح يردد أبي دائمًا..

لكني "مش عايز أكبر وأكون راجل"!!

ولكني بحس إكمني.. عاشق لزماني اللي تاعبني!!
كان يوما غير اعتيادي عندما ذهبت لأبحث عن
"زينب" كي نلعب سويًا. فتح والدها الباب وأخبرني
بأنها "مش هنا .. مع أمها في مشوار" هممت

بالمغادرة لكنه طلب مني أن أدخل الشقة حتى يعطيني "حاجة حلوة" .. أغلق الباب وبدأ ينظر لي مبتسمًا -لا أذكر أنني شاهدته مبتسماً قبل هذا اليوم- بدأ يحتضنني بشدة من الخلف .. أخذ يقبلني بشكل غريب ورائحة فمه كادت تخنقني، صُدمت كثيرًا مما فعله، لكن الخوف منعني من اتخاذ أي رد فعل، شد بنطلوني، ازداد ذعري.. وشعرت بفزع شديد ، أخذت أبكي وأطلب منه أن يفتح لي باب الشقة لكنه رفض..

"متخفش يا حبيبي هوريك حاجة حلوة بس متقولش لحد"، فتح سرواله وكشف عن صورة لن تستوعبها عينا طفل في الثامنة.. نظرت بخوف شديد وقلت: "عايز أمشي" .. لكنه حملني ودخل بي غرفة "زينب": تعالى أوريك لعب "زينب" .. قلت له: "مش عايز" .. لكن إرادته كانت أقوى بكثير من صوتي الطفولي الهامس!

ألقى بي على السرير بقوة، وشعرت بثقله ... شعرت بالاختناق، بكيت ..رجوته أن يرحم براءتي، ولكن ... !!

كان الرجل ينهي ما بدأه بمنتهى النشوة..

"اوعى تقول لحد" .. قالها بحدة وحزم وهو يغلق سرواله ثم أعطاني خمسين قرشا وعددًا من مجلة ميكي جيب وأخبرني أنه سيشتري لي ألوانا وكراسة رسم إن تكتمت ما حدث!

نزلت السلم خائفا .. فتحت أمي الباب ونظرت إلي:

كنت فين يا "عصام" .. ومين إداك الحاجات دي ..؟؟

نظرت إليها وأجهشت بالبكاء..

بالتأكيد ستعرف كل شيء..

"هتضربني" لأني عملت كده ..

"بتعيط ليه؟".

قالتها لي أمي بحنان.

في مساكن شعبية!

ثلاث سنوات كاملة مرت على حكايتي مع والد "زينب" .. أنهيت فيهم دراستي الابتدائية وانتقلت للمرحلة الإعدادية .. كانت المدرسة التي أقصدها تبعد حوالي نصف ساعة عن بيتنا .. لم أكن طفلا متفوقا .. لكني أحببت الدراسة واستمتعت بها ..

وفي مدرستي الجديدة تعرفت بـ"رامي" الفتى الذي كان يجلس بجانبي في الفصل، "رامي" لاحظ أنني انطوائي لا أحب اللعب مع التلاميذ، أخذ يشجعني

على التفاعل والانطلاق في المدرسة .. كان يقول لي
دائمًا إنني جميل وشكلي حلو .. مع "رامي" شاهدت
أول مجلة جنسية في حياتي، أخبرني أنه سرقها من
أخيه الأكبر، كانت المجلة مليئة بصور نساء ورجال
عرايا في أوضاع ساخنة، لا أعرف لماذا انجذبت أكثر
لصور الرجال، الأجساد الساخنة اللامعة، والجرأة..
وعلامات الرجولة التي تكاد تنفجر من كل تفصيلة
في الصور!

"رامي" كان طالبًا مميزا في الفصل .. وسبب تميزه
هو وجود جهاز "فيديو" في بيته .. في فترة زمنية
كان الفيديو فيها ينتشر أكثر في المقاهي الشعبية
وليس في البيوت -عدا طبعًا بيوت الناس التي كانت
عائدة لتوها من الخليج- وامتلك "رامي" قدرة رائعة
على الحكي .. حكى لنا عن الأفلام التي يشاهدها
يوميًا مع أخيه الأكبر، أفلام جريئة من بطولة
"نادية الجندي" و"نبيلة عبيد" و"عادل إمام"، وصف
لنا القبل بين البطل والبطلة، وكانت تحيطه في
"الفسحة" عيون جائعة مصدر ثقافتها الجنسية
الوحيد هو الأفلام التي يشاهدها بالنيابة عنا
"رامي" والذي شاهدت في عينيه أول نظرات جنسية
تشتهيني في حياتي .. كثيرًا ما كان يحسس على
مؤخرتي ويدعي أنه لم يكن يقصد ذلك، وذات يوم
طلب مني أن يقبلني في شفتي، كنت خائفا لكنه
أقنعني أن الموضوع "هزار" ولعب .. وتعودنا أن نذهب
كثيرًا لحمام المدرسة وهناك ... كنت أستمتع جدا
بقبلاته..

ثلاث سنوات كاملة هي فترة الدراسة في المرحلة
الإعدادية كان فيهم "رامي" هو صديقي الوحيد من
داخل المدرسة.. كانت علاقتي بباقي التلاميذ علاقة
سطحية تمامًا .. كنت لا أشاركهم لعب كرة القدم
- وصاحبت بدلا منهم -إلى جانب "رامي"- مجلة
الأطفال "ماجد" وتعودت أن أشتريها كل يوم أربعاء
لأقابل فيها أصدقائي الحقيقيين "ماجد" و"ذكية
الذكية" و"فضولي" و"شمسة" و"دانة"!

في الصف الثالث الإعدادي أهلني المجموع الذي
حصلت عليه دخول الثانوية العامة .. دخلت مدرسة
بعيدة عن بيتنا إلى حد ما، بينما ذهب "رامي" إلى
مدرسة في منطقة القلعة بعد أن انتقل مع أهله
إلى شقة جديدة هناك، وهكذا انتهت علاقتي

بهذا الفتى الذي أحببته كثيرًا وتعودت على وجوده
بجانبي .. لكني لن أنسى أبدًا أن "رامي" هو المعلم
الحقيقي الذي علمني في الصف الثالث الإعدادي
طريقة رائعة للاستمتاع بنفسي جنسيًا، وكان
يطلق على هذه الطريقة "ضرب العشرات" .. وهي
الطريقة التي كنت أقوم بها وفي خيالاتي صور
لرجال بلا ملابس أنظر إليهم دون خوف أو خجل.

لازم تسهر تحكي معايا!

بدأت المرحلة الثانوية، وهناك التقيت بـ"محمد
صلاح" طالب يدرس معي في نفس الفصل ، كان
مشهورًا في المدرسة بـ"الواد المنسون" .. شهرته
في مدرستنا حصل عليها بسبب ميوعته .. دائمًا
الهزار بينه وبين أصحابه يأخذ شكلا جنسيا، لدرجة
أنه ابتكر في أحد الأيام مسابقة بين الطلاب الهدف
منها أن يعرف من الطالب صاحب الرجولة الأكثر
في المدرسة، وحملت هذه المسابقة اسم "افتح
السوستة"!!

"محمد" استطاع بمهارة فائقة أن يحشد أكبر عدد
من الطلاب للمسابقة واستخدم أسلوبًا استفزازيًا

ميزًا لمهمته من خلال استخدام عبارات من قبيل:
"اوعى تشترك في المسابقة دي لأنك أكيد
هتخسر!!". وهو أسلوب استفزازي جعل جميع
طلاب الفصل -ما عداي- يشاركون -وبكل مراهقة
وسذاجة- في المسابقة، كان كل طالب يقوم بفتح
سوستة بنطلونه بينما أمسك محمد صلاح
"مسطرة" وأخذ يتصرف بشذوذ مدعيًا أنه يقيس
الحجم !!

كنت حينها مستمتعا جدًا بالنظر للطلبة في
الفصل وهم يكشفون عن فحولتهم، خاصة
الطلاب الذين كنت أشتهيهم في خيالاتي ، لكني
كنت أدعي المثالية والأدب، وهددتهم قائلا: "وحياة
أبوكم لأقول للأستاذ محمد وأفضحكم" .. "أنا
هعرف مدير المدرسة" .. لكن الحقيقة هي أنني لم
أكن مثاليا لهذه الدرجة بل كنت مستمتعًا بكل ما
يحدث!

جرأة "محمد" في طرح فكرة هذه المسابقة هي
السبب الذي جعلني أهتم به، خاصة أنها أكدت

لي -وبدون شك- ميول "محمد" المثلية التي كانت واضحة للجميع .. وبمرور الأيام زاد تعلقي به وبادلني هو نفس الشعور ورحب بصداقتي .. كان "محمد" بالنسبة لي مثلي الأعلى، وشخصية مميزة .. قادرة على تحويل كل أحلامها -الجنسية- إلى حقائق.

كان قادرًا على فعل أشياء لم تكن لدي الجرأة لأفعلها، كان إن أعجبه أحد طلاب المدرسة اقترب منه بكل ثقة وجرأة ويمد يده ليلاطفه قائلا: "إيه الحاجات الجامدة دي" .. وكان أغلب الطلبة يتقبلون هزار "محمد"، ويتعاملون معه على أنه أمر واقع، بل كان هناك من يعجبه هذا "الهزار".

كنت أتعجب من "بجاحة" هذه الشخصية وتصالحها مع نفسها، وداخلي ينطلق سؤال في غرفة مظلمة وصدى الصوت يردده: "آه لو أقدر أعمل زيه" فهو لم يكن يخجل من الإعلان عن "أنوثته" بل كان يفخر بها ودائمًا ما كان يرتدي بنطلونات جينز ضيقة، تجسمه بشكل "بناتي" من الخلف، بينما يظهر "البودي" الذي يرتديه صدره الذي لا يختلف كثيرًا عن صدر الفتاة!

بدأت علاقتي بـ"محمد" تصبح علاقة صداقة حقيقية .. وبدأنا نتكلم .. وزاد حبي له عندما علمت أنه مثلي تمامًا يحب الاستماع إلى أغاني "محمد منير" .. بعكس باقي الطلاب الذي كانوا مولعين أكثر بـ"عمرو دياب"!

كان "محمد" بالذكاء الكافي الذي جعله يفهمني بسرعة ويعرف أنني أشترك معه في نفس ميوله المثلية .. خطوة بخطوة بدأت أتجرأ وأتحدث معه في موضوعات حساسة جدًا وخاصة، وذات يوم سألني بشكل مباشر: هل سبق ومررت بتجربة؟ لم أفهم معنى سؤاله في البداية.. لكنه كرره بشكل أكثر "بجاحة" .. كان يقصد منه هل مارست علاقة جسدية مثلية؟ وأخذ يشرح بكل جرأة، صدمني السؤال ووجدت نفسي أتخذ وضع المدافع: "لا والله يا "محمد" أنا عمري ما حد قرب مني .. وحياة ربنا لأ .. صدقني والله" .. لكن "محمد" أخذ يضحك ويطمئنني: "يا بني عادي .. بتحلف ليه؟ .. أنا مصدقك" .. وساخرًا نظر إليّ وأردف قائلا: "فرحان قوي؟ يا خيبتك التقيلة .. يا بني ادردح شوية".

نظرت إليه والخجل واضح على ملامحي، وذهلت عندما سألني: "طب في حد عاجبك من المدرسين أو الطلبة تحب أكلمهولك"؟ .. لكن كان هناك شيء ما من "الحياء" يمنعني من الكلام، لذلك وجدت نفسي أقول له بكل خجل: "لا مفيش أي حد عاجبني، أنا مش بتاع الكلام ده، أنا ممكن أحب حد بس يحصل بينا حاجة لأ طبعًا" .. تفهم "محمد" خجلي ولم يضغط عليّ ..

شبابيك !

لكن بدأ حيائي يتلاشى وأصبحت هناك "شبابيك" من الثقة بدأت تفتح بيني وبين "محمد"، وبات لحواراتنا بعدًا صريحًا لأبعد حد، ووجدت نفسي أطرح عليه سؤالا بدون أي مقدمات: "بقولك إيه يا "محمد" هو لو في حد عاجبك ونفسك تخليه يعرف إنك بتحبه بتعمل إيه علشان تخليه يفهم؟" .. نظرة حب شاهدتها على وجه "محمد" .. ولسان حاله يردد: "إذن فقد بدأ الباب ينفتح" .. وبكل تلقائية قال لي: "الموضوع ده سهل أوي .. بكل بساطة قل له: "إزيك يا جميل؟ .. عايزين نشرب شاي مع بعض!" وأعطاني "محمد" نصائحه بكل خبرة .. "المهم تقول الكلام ده بدلع .. هتلاقي اللي قدامك بدأ يفهمك على طول!".

بدأت العلاقة بيني وبين "محمد" تصبح أقوى معتمدة على اهتمامات مشتركة، أصبحت أحدثه عن رغباتي المكبوتة بدون خوف .. بدأ الثلج بيننا يذوب .. وترتفع بدلا منه علاقة أخوية حقيقية يغلفها الصدق والحب. وفي يوم بدأنا نتحدث عن المدرسين في مدرستنا .. من أكثرهم وسامة .. لو عملنا بينهم مسابقة "افتح السوستة" يا ترى مين هيفوز فيهم؟".

ابتسم .. فباغتني "محمد" بالسؤال: "مش هتقولي بقى مين عاجبك من المدرسين؟" بكل خجل

قلت له: "أنا عاجبني أوي أستاذ "سيد العربي" بتاع الفلسفة". نظر لي "محمد" بغضب في البداية ثم ابتسم بطريقته "المايعة" ملوحًا بيديه في الهواء كما تفعل العوالم حين يتكلمن: "لا سيبك من "العربي" خالص .. أنا بحبه وفي علاقة بينا بدأت من ساعة ما خدت درس خصوصي عنده في البيت!!".

كلام "محمد" أصابني بصدمة كبيرة .. لم أكن أدري أأصدق محمد أم أكذبه؟ .. هل حقا توجد علاقة بينه وبين الأستاذ "سيد العربي"؟ استغربت الأمر .. لكن "محمد" كان يملك أسرارًا جعلتني أتعجب أكثر، وأخذ يحكي لي تفاصيل العلاقة التي تتم بينهما، وراح يتحدث بكل إعجاب عن رجولة الأستاذ "سيد"!

في هذا اليوم لم أنم طول الليل، بقيت أتخيل العلاقة التي بين محمد وبين الأستاذ "سيد العربي"، وأخذتني خيالات إلى هناك .. إلى بيت الأستاذ "سيد" حيث يعيش علاقة كاملة مع صديقي "محمد"!!

حسناً إنني أمر بحالة أرق .. فلأستمع إلى منير!

محمد منير ـ الصوت القادم من "النوبة" حيث مازال هناك شيء ما جميل يجذبك إلى شيء أجمل و..

"جمويا طيب يا أبو عصايا من فضلك احكي لي حكاية.

لحد تنام قبل ما تقفلها افضل قولها لحد آخرها..

وإن خلصت بقى خش في غيرها لازم تسهر تحكى معايا.."!

لا أعرف لماذا تذكرت في هذه الليلة "عمران" ابن خالتي ـ الشاب الصعيدي الذي جاء القاهرة من أجل "أكل عيشه" ـ وتحسين ظروفه المادية استعدادًا للزواج ـ كان يعمل "عامل شيشة" في أحد مطاعم ميدان الجيزة ـ وفر له أبي غرفة فوق سطوح بيتنا التي نعيش فيه ونمتلكه .. كنت معجبًا جدًا بهذا الشاب خاصة عندما يطل شعر صدره تحت قميصه فيظهر رجولته وفحولته الصعيدية المميزة، التي حلمت أنني أمتلكها وأشعر بها.

يزداد الأرق .. ويتحول إلى رغبة .. وأتذكر جملة "محمد" صديقي التي قالها لي ذات يوم: "لما حد يعجبك روح قل له أنا عايز أشرب معاك شاي" .. بس لازم أقولها بميوعة حتى يفهمني .. حسناً سأفعل يا "محمد" قلتها لنفسي وخرجت من غرفتي متسحبًا ومن خلفي يتردد صوت منير..

"مليان جنون لكنى عاقل
أنا مين أكون ولا حد سائل"!!

تسحبت دون أن يشعر بي أي شخص حتى دخلت غرفة "عمران" .. كان نائمًا على السرير الخشبي القديم الذي كنت أنام عليه منذ سنوات قبل أن يشتري لي أبي واحدًا جديدًا وينقل هذا السرير لفوق السطوح .. وها أنا أعود مجددًا للنوم على سريري القديم لكن هذه المرة لن أنام بمفردي!!

بهدوء نمت بجانب "عمران" .. لم يشعر بي .. كان مستغرقا في النوم وصوت شخيره يثبت ذلك.. لاطفته والمخاوف تلعب برأسي وأسئلة تتردد في الأفق: "ماذا لو رفض؟". "ماذا لو أهانني؟". "هل من الممكن أن يخبر أهلي؟" .. شلال من الأسئلة يتدفق داخل رأسي لم يعترضه سوى المفاجأة التي لم أتوقعها!!

وصوت هامس فند كل مخاوفي قال لي مرحبا: "حد شافك وانت جاي؟!"..

ويبقى الحلم صورة وصوت!

عدت لغرفتي أتسحب حتى لا يشعر بي أي شخص من أفراد أسرتي. استلقيت على سريري شاعرًا بسعادة لا توصف .. هذه هي أول مرة في حياتي أحظى بهكذا تجربة .. تجربة كانت بطلتها الرغبة فقط.. وبدأت أشعر بإرهاق وبرغبة في النوم .. لتصبح هذه الليلة هي الخط الفاصل بين مرحلتين في حياتي.. المرحلة الأولى كنت فيها مجرد مثلي يحلم بعلاقة مثلية لكن المرحلة الثانية يناسبها أكثر جملة "مثلي يحقق أخيرا ما حلم به!!".

"إيه يا بلاد يا غريبة .. عدُوة ولا حبيبة؟".

رغم كل شيء استيقظت في اليوم التالي في نفس موعد ذهابي إلى المدرسة. لكنني بالتأكيد لم أكن في حالتي الطبيعية .. كنت أمر بحالة عجيبة .. مشاعر مختلطة ما بين سعادة بالتجربة وخوف

منها .. ترى هل أخبر "محمد" بقصتي مع "عمران" أم أخفي سري للأبد؟ .. كانت فطنة "محمد" تفضحني فقد شعر أن هناك شيئا ما ليس على ما يرام يحدث لي، واستمرت بيننا نظرات ...
كانت نظراته تسأل: "أنا متأكد إن في حاجة إنت مخبيها" ..
و عيناي تردان : "صدقني مفيش حاجة".

خطاب النظرات لم يدم طويلا ووجدته يطرح علي السؤال الذي توقعته: "إنت مش عاجبني ياض النهاردة .. مالك؟" .. نويت أن أكذب لكن نظراته كانت أقوى مني وقبل أن أنطق كذبًا ابتسمت له.
فقال بسعادة بالغة: "يبقى حصل .. طمني عليك" .. ورحت أحكي له كل شيء بالتفصيل الممل!

ولمدة أسبوع كامل كنت أذهب في نفس الموعد لـ"عمران".. لنفعل نفس ما فعلناه أول مرة .. كنت أول مرة أخجل من النظر لعينيه مباشرة .. وكنت أخجل من أنطق أي كلمة أثناء العلاقة بيننا .. لكن بعد ذلك بدأت أتكلم معه عن العلاقة .. وفي اليوم التالي لكل تجربة كنت أحكي لصديقي "محمد" كل شيء وهو لا يتوقف عن إعطائي نصائح مستمرة كانت قادرة على أن تجعل الأمر أجمل .. [illegible] مع "عمران" أطبق نصائح "محمد" بشكل عملي وخجلي يقل مرة بعد مرة .. وحبي للتجربة يزيد.

تكررت تجربتي مع "عمران" سبع مرات .. وفي المرة الثامنة ذهبت إليه في نفس الموعد وكالعادة كان نائمًا كالقتيل ربما بسبب المجهود الكبير الذي أصبح مزدوجًا .. مجهود عمله في المطعم إلى جانب مهمة العلاقة معي والتي أصبحت يومية.. كالعادة استلقيت بجانبه وبدأت أطبق نفس السيناريو الذي يسبق كل مرة نكون فيها معا .. لكن هذه المرة كانت مختلفة تمامًا .. حدث ما لم أتوقعه قط.. رفضني "عمران" .... وصفعني على وجهي بقوة وبغضب قال: "ليه خلتني أعمل كده؟ .. ابعد عني .. لو ميعدتش عني هفضحك وأعرف الناس كلها!!".

ولم تكن جملته هذه هي كل شيء .. بصق أيضًا على وجهي! .. أصابتني صدمة وخوف ولم أشعر بنفسي إلا وأنا أردد: "أنا آسف والله .. مش هعمل

كده تاني!".

خرجت من غرفته بسرعة وبخوف .. ولم أنم تلك الليلة من القلق .. بركان من الأفكار يعلن عن انفجاره داخل رأسي: هل سيخبر أهلي؟ .. ماذا لو عرف والدي؟ .. "إيه المصيبة اللي حطيت نفسي فيها دي" .. "منك لله يا "محمد" إنت السبب في اللي حصل ده".

وكان السؤال المنطقي "لو لم أقابل "محمد" في حياتي .. ولو لم أستمع لنصائحه وتشجيعه المستمر لي .. هل كنت سأظل الشاب الخجول الذي يكتفي بمشاعر مثلية داخلية لا تتجسد على أرض الواقع؟!".

في اليوم التالي حكيت لـ"محمد" كل شيء .. فطمأنني قائلا: "متخفش يا عبيط .. ميقدرش يقول لأي شخص .. لأنه لو فضحك يبقى بيفضح نفسه" .. بدأت أفكر في كلام "محمد" بجدية .. حقا هي وجهة نظر تستحق التصديق!

كان هناك شيء ما بداخلي غير راض بتاتا عما حدث .. شيء يؤكد لي أن ما فعلته مع "عمران" لم يكن الأفضل لحياتي .. كان يجب أن أرفض .. لكن الرغبة كانت أقوى مني .. كل التخيلات التي أدمنت التفكير فيها في السنوات الأخيرة رفضت أن تظل حبيسة داخل عقلي .. تمردت .. تحركت .. وفي النهاية خرجت!!

يتردد سؤال طفولي غريب داخلي "هو لو محمد منير عرف إني عملت كده هيزعل مني؟؟؟!!!".

[illegible]

عندما عدت لبيتنا بعد المدرسة، وعلى مائدة الطعام وجدت أمي تحدث أبي: "طب هو سافر ليه مرة واحدة كده .. ده كان شغال في مطعم كويس وبياخد ماهية حلوة" .. عرفت بعدها أن "عمران" ابن خالتي

عاد إلى أهله في سوهاج لأنه يستعد - كما قال لأهلي - للسفر إلى ليبيا. "يا ما أنت كريم يا رب" تمتمت بيني وبين نفسي .. وشعرت بسعادة بالغة .. الحمد لله "عمران" ابتعد للأبد عن حياتي ..

شعرت أن الله سبحانه وتعالى يعطيني فرصة جديدة لأبدأ من جديد. قررت أن أتوقف للأبد عن أي علاقات من هذا النوع..
أعلم أن هناك ثورة بداخلي بطلها "رجل عار معي .. وأنا في قمة سعادتي"..
لكنني لا أريد أن أكون في قمة سعادتي!!
ممكن؟!

"يا رب أوعدك إني معملش حاجة تزعلك مني تاني!".

حسنا فلتستمر الحياة!!

اتكلمي!!
مرت شهور عدة وظهرت نتيجة الثانوية العامة. حصلت على مجموع ٩٤٪ بينما حصل صديقي

"محمد" على مجموع غير مشرف بالمرة كان وهو ما سبب له مشاكل عدة مع أهله في المنزل وصلت لحد طرده خارج البيت .. واعتبره والده "ميستحقش اللقمة اللي بياكلها" .. خاصة وأن الشارع الذي يسكن فيه "محمد" به أكثر من طالب في نفس المرحلة الدراسية وكلهم حصلوا على مجموع مشرف عدا "محمد"!

كان منزلي هو الملجأ الوحيد لصديقي .. جاء ليقضي معي بضعة أيام حتى يهدأ الوضع في منزلهم - وكانت الغرفة التي سكن فيها "عمران" سابقا تنتظر "محمد" بكل ترحاب .. بقي "محمد" معنا أسبوعا كاملا إلى أن جاء شقيقه الأكبر وأخذه كي يصالحه مع أهله .. لكن صداقتنا وعلاقتنا لم تنته بل زادت وأصبح "محمد" هو أخي الجديد الذي يشترك معي في نفس مشاعري "المختلفة" التي لن يفهمها سوى من عاشها!

"قبل ما تحلم فوق .. واحلم وإنت فايق"!
دخلت كلية الفنون التطبيقية .. فقد كنت أعشق الرسم والتصوير الفوتوغرافي .. بينما

التحق "محمد" بمعهد تجاري متوسط وأصابه اكتئاب شديد لأنه كان يفضل دخول الجامعة .. حيث الشباب "الكاجوال ولاد الناس" الذين تقف سياراتهم في "الباركينج" أمام الجامعة، بدل طلاب المعاهد المتوسطة الذين تخرج أغلبهم من المدارس الفنية وليس من الثانوية العامة .. هكذا كان يقتنع "صديقي"!

في هذه الفترة كان "محمد" ضيفا دائمًا على كليتي .. كنا نتقابل يوميًا في الكلية، وبدأ يحضر معي كل المحاضرات، لدرجة أن الدكاترة وزملائي كانوا يعتبرونه طالبًا في الكلية وليس مجرد طالب مستمع. أهمل "محمد" معهده ولم يعد يقصده قط .. وكان دائمًا يردد: "ده معهد زبالة .. والأشكال اللي فيه كلهم صيع وجايين من دبلومات تجارة مش من ثانوية عامة!". كان يبكي كثيرًا لأنه لم يكن طالبًا جامعيًا: "كان نفسي أدخل جامعة مش معهد" ..

بدأت أشعر أن صديقي بات ينتقم من حظه بالدخول في تجارب جسدية كثيرة ومتعددة، وأصبح يحكي لي كل بضعة أيام مغامرة جديدة من مغامراته. ودائما كان يلومني: "يا عبيط إنت من ساعة ما "عمران" ضربك بالقلم وإنت خلاص اتعقدت!".

لكن الحقيقة لم تكن كذلك .. لم أشعر أن تجربة "عمران" عقدتني، لكنني كنت أعرف جيدًا أني مختلف جدًا عن "محمد" .. فهو "بناتي" في تفكيره، سعيد بأن جسمه يأخذ طابعًا أنثويًا، وكان يعشق ملابس الفتيات وأخبرني أنه يرتدي ملابس داخلية أنثوية أثناء علاقاته .. بينما كنت أنا مختلفا تمامًا عنه كنت أحب كوني رجلا .. وسعيدًا بأن ملامحي رجولية لا تثير شكوك أي شخص، وتضعني دائمًا في مصاف الشباب "العادي" جدًا، بعكس صديقي "محمد" الذي سرعان ما ينكشف أمره في أي مكان يكون فيه بسبب نبرة صوته الأنثوية، بالإضافة إلى جسمه البناتي الذي يجعل كشف ميوله من أسهل ما يكون.

ذات يوم عرفت "محمد" على أحد زملاء دفعتي،

نظر لـ"محمد" بإعجاب وقال له مازحا: "إنت زي العسل يا "محمد" .. عارف إنت لو كنت بنت أنا كنت اتجوزتك على طول!" .. "محمد" كان جاهزًا بالرد: "مش لازم أكون بنت يا نور عيني أنا أحسن بكتير من البنات!!" كنت أنظر إليهما وأبتسم .. ولم أتعجب عندما علمت أنه بعد يومين فقط من اللقاء أصبح زميلي ذاك قصة جديدة حكى لي "محمد" تفاصيلها بالتفصيل الممل .. نعم لا تتعجب .. حدث ذلك بالفعل!

"دنيا رايحة .. ودنيا جاية ..
دور عليك .. ودور عليا .."

في هذه الفترة كنت قد تعرفت على "هند" طالبة معي في نفس الفرقة .. اعتبرتها صديقة مقربة لي .. كنت أشعر براحة في الحديث معها .. "جدعة" "محترمة" "بنت بلد" بالطبع لم تكن تعلم أي شيء عن ميولي السرية .. كنت أعتبرها أختا لي .. وكانت ترفع من معنوياتي دائمًا "إنت شيك جدًا النهاردة" .. "إيه الجمال ده يا عصوم" .. ودائمًا أبتسم لها بخجل ولا أعلق!

كانت "هند" كثيرًا ما تعلق على صديقي "محمد" حيثما تراه: "مش عارفة يا عصام .. بحس إنه ناعم زيادة عن اللزوم!" لكنها كانت تحترم تمسكي به وحبي له "صدقيني يا هند "محمد" ده أحسن واحد قابلته في حياتي .. طيب وابن حلال وجدع جدًا" .. لكنها لم تقتنع به!

كانت "هند" تذكرني كثيرًا بـ"زينب" صديقة طفولتي .. نفس احتياجي لها .. نفس الشعور بالألفة معها .. نظرتي لها كانت دائمًا: "مجرد صديق آخر أشعر معه بالراحة" .. أتكلم معها بحرية كبيرة .. لكن يبدو أن "هند" كانت تنتظر مني ما هو أكثر!!
أول من لاحظ هذا هو "محمد": "عصام .. أنا حاسس إن البت دي بتحبك" بتعجب قلت له: "بتحبني؟؟ إنت بتهرج أكيد .. دي "هند" دي زي أختي بالظبط!" .. "لا يا روح قلبي .. البت دي بتحبك .. واللي إنت متعرفوش إنها بدأت تغير عليك مني!!".
مذهولا نظرت لصديقي.

"مينفعش يا "محمد" .. اللي إنت بتقوله ده مينفعش"..
"مينفعش"..
"مينفعش"..

افتح قلبك مرة .. للأسمر والسمرة
افتح قلبك قوم بينا ليه نضحك على بعضينا

كنت أتردد كثيرًا على المكتبة المركزية للجامعة .. وهناك تعرفت بـ"حسن" .. شاب وسيم ومحترم وله ميول "مختلفة" شعرت بها حين بدأ ينظر لي بإعجاب، إعجاب مختلف .. بدأت أفهمه .. ابتسم لي .. بادلته الابتسامة بابتسامة ونظرت بخجل إلى الأرض .. قال لي ضاحكا: "إنت بتتكسف يا قمر؟" .. أجبته قائلا: "أيوه" .. بإعجاب واضح سألني: "إنت في كلية إيه؟". "أنا طالب في كلية الفنون التطبيقية" .. وأضفت قائلا: "أنا باجي هنا بسبب عشقي للقراءة في كل المجالات" .. سألني: "اتخصصت ولا لسه؟" .. قلت له: "أنا لسه في أول سنة بس ناوي إن شاء الله أدخل قسم جرافيك وإعلان .. أصلي بحب الرسم والتصوير" ..

كان واضحا أن الحوار بيننا سيطول ويأخذ أبعادًا أخرى .. وما كان يجب أن يحدث ذلك .. قلت له: "عن إذنك لأن في واحد صاحبي منتظرني وأنا اتأخرت عليه".. الحقيقة أنه لم يكن هناك أي شخص ينتظرني .. فقط كنت أريد الهروب من شخص بدأ يكتشف الجانب الآخر من شخصيتي وهو الأمر الذي جعلني أبتعد!

لماذا يرتعد جسدي هكذا؟
لماذا صورة ذلك الشخص تسيطر على تفكيري وهو عار وينظر لي بحب؟!

يرن تليفوني المحمول .. إنها "هند" "إزيك يا هند .. أخبارك إيه؟" تخبرني أنها لا زالت في الكلية وأنها تبحث عني "أنا دقايق وهكون عندك .. استنيني!!". وصلت الكلية وقابلت "هند" وجلسنا نتحدث في أمور عدة ليس طبعًا من ضمنها الموقف الذي حدث في المكتبة!

في اليوم التالي وجدته في المكتبة .. هذه المرة لم أستطع الهرب من نظراته، تكلمنا وتعرفت به عن

قرب، عرفت أن "حسن" في الفرقة الرابعة بكلية الحقوق، يحلم بالعمل في النيابة، ربما أكثر ما شد انتباهي لـ"حسن" هو الشعر الغزير الذي يمتلىء به صدره .. كان يعطيه شكلا رجوليًا محببًا لي .. كانت لـ"حسن" نظرات جائعة للحب المثلي .. كان يتكلم معي وهو ينظر لي نظراتٍ قوية كأنها تطلب مني علاقة بشكل غير مباشر، "تيجي ننزل الكافتيريا نشرب حاجة؟" لم أرفض طلبه ووجدت نفسي أذهب معه إلى هناك .. تكلمنا في أمور عدة، وبدأنا نتقرب: "إنت عايش مع أهلك؟" سألني فأجبته: "لأ أنا عايش في شقة لوحدي بس في بيت أهلي في المنيب.. أصلي بحب أكون مستقل بذاتي وناوي أشتغل في الصيف ده وأصرف على نفسي".

لم أشعر بالوقت يمر إلا عندما وجدت صديقي "محمد" يقف أمامي في الكافيتيريا، وينظر لي بابتسامة جانبية وينظر لـ"حسن" وكأنه يسأل : "مين ده" و فجأة قال لي: "هو مش في بينا ميعاد .. اتأخرت ليه يا أستاذ؟" .. نظرت لـ"حسن" بخجل ثم إلى "محمد": "آسف يا "محمد" .. ونظرت لـ"حسن" قائلا: "أعرفك .. "محمد" صديق عمري!!".

بعد تعارف سريع ابتعدت مع "محمد" عن "حسن" .. كنت أعرف جيدًا أن "محمد" سيبدأ فورًا في فتح محضر رسمي لمعرفة كل تفاصيل الواقعة .. وبالفعل بدأ المحضر: "ده مين الأمور ده؟ .. إنت اتغيرت على فكرة .. وبقيت تخبي عليا حاجات كتير جدًا .. وده مش حلو!" قلت ضاحكا: "لا والله .. ده صديق عادي اتعرفت عليه في المكتبة .. إنت بتبصلي كده ليه؟!" كنت أعرف جيدًا أنني لن أصمد كثيرًا أمام نظرات "محمد" خاصة عندما قال: "ياض يا مفضوح .. ده الواد كان هياكلك بعنيه .. وكان ماسك إيدك ولا روميو وجوليت!".

"روميو وجولييت"؟ ابتسمت للتشبيه .. !!

لمدة أسبوع كامل لم أعد أذهب إلى المكتبة المركزية بسبب مشروع دراسي عملي استهلك كل وقتي واهتمامي .. وذات يوم وجدت "حسن" يسأل عني داخل كليتي نظرت إليه مصدومًا وابتسمت عندما سمعته يهمس في أذني وهو يحتضني: "وحشتني قلت آجي أشوفك يا وحش!".

"فين السعادة فين يا ناس طريجها منين"!!
أكثر من أربع ساعات كاملة قضيتها مع "حسن" في الكلية .. عرفته بـ"هند" أقرب صديقة لي في الكلية .. بعدها خرجت مع "حسن" من الكلية ويده تحتضن يدي .. قال لي إنه يريد أن يرى شقتي .. فكرت قليلا ثم وجدت نفسي أوافق وذهبنا معًا إلى المنزل .. وهناك بدأ يخلع القناع كما توقعت تمامًا: "أنا معجب بيك من ساعة ما شوفتك .. نظرة عينيك عاجباني قوي .. أنا حبيتك بجد .. إنت رومانسي وفنان!".

"يا رب أنا وعدتك إني معملش حاجة غلط خالص .. يا رب اقف معايا .. أنا خايف أغلط"!!

بدأت أنظر لـ"حسن" ومقاومتي تنكمش .. وتنكمش!
"يا رب سامحني .. مش قادر أقاوم!!".

اقترب مني وضمني إلى صدره .. وبدأ يقرب شفتيه من شفتي ..

مع "حسن" وفي يوم واحد فقط تعرفت على أشياء عدة لم أكن أعرفها في عالم المثليين أهمها الجنس الشفهي "oral sex" .. كان صديقي "محمد" يخبرني أن الأستاذ "سيد العربي" كان يعشق هذا الأسلوب.. لم أحتمل ذلك، وطلبت من "حسن" أن نؤجل كل شيء لأني خفت كثيرًا...وهو احترم ذلك وكان هادئا معي .. انتهى يومنا معًا .. وفي المساء اتصلت بـ"محمد" وحكيت له على الهاتف كل شيء!!

استمرت علاقتي بـ"حسن" أكثر من شهرين تقابلنا حوالي أربع مرات .. بمعدل مرة كل أسبوعين والسبب في ذلك الجانب العملي من دراستي الذي استغرق مني مجهودًا ووقتا كبيرين، وكنت قد عاهدت نفسي ألا أدع أي شيء يثنيني عن مستقبلي ودراستي .. كنت أعتبر أن المستقبل هو الحرية .. وكنت عاشقا للحرية!

سبب آخر كان يمنعني من الالتقاء بـ"حسن" وهو خوفي المستمر من الله.. كانت علاقتي مع "حسن"

لا تحدث إلا بعد أن أصل إلى أعلى مراتب الضعف .. كنت أحاول كثيرًا أن أبتعد وكنت أقاوم لكني كثيرًا ما كنت أضعف و"حسن" لم يتحمل ذلك ..

كان يغضب بشدة عندما يطلب أن يزورني في البيت وأعتذر له.. والواضح أن علاقتنا كانت هشة بما يكفي لأنها لم تتحمل الشد والجذب، وكان القرار هو الابتعاد ..

فهو يحترم جديتي في دراستي، و يحترم أيضًا حالات الخوف من الله سبحانه وتعالى التي تجتاحني كثيرًا، لكن .. "أنا ليا احتياجات لازم أشبعها وإنت مش فاضيلي" ..
وهكذا تركت "حسن"!

"يغور في ستين داهية".
كانت هذه هي الجملة التي قالها لي "محمد" عندما حكيت له عن تطورات علاقتي بـ"حسن"، ونظر لي بإعجاب قائلاً: "إنت زي القمر وألف واحد يتمناك" .. لكني كنت محددًا وواضحًا:

"أنا ههتم بدراستي وبس .. أنا مش عايز حاجة تعطلني عن مستقبلي .. بلا حسن بلا حسين"!!
ابتسم "محمد" وقال: "طب وبالنسبة للآنسة "هند؟!"".

ساح يا بداح يا سؤال جراح!
على كوبري الجامعة وقفت مع "هند" نتكلم .. هي طلبت مني أن نبتعد عن جو الجامعة لأنها تريدني في موضوع هام .. بائع ورود يحاول جاهدًا أن يقنعني بشراء وردة حمراء ملفوفة في سوليفان .. "يا رب تتجوّزوا خدلها وردة" .. أعلن ضيقي من إلحاحه وداخلي يعلن: "نتجوز إيه يا عم .. إنت مش فاهم حاجة!".
لكن الحقيقة أنني أنا الوحيد "اللي مش فاهم حاجة" .. "هند" أخبرتني أنها تحبني بجنون .. قالت لي ذلك بشكل واضح ومباشر!

قارب العام الدراسي على الانتهاء ولم أعد أقابل "محمد" كثيرًا بسبب المذاكرة. ولكن بقي بيننا اتصال تليفوني بشكل شبه يومي .. يحكي لي آخر مغامراته في عالم العلاقات المثلية.. "اسكت مش أنا عرفت العيال الشواذ بتتقابل فين!" جملة صدمتني من "محمد" ربما لأني أول مرة أسمع منه كلمة "شواذ" فقد تعود في كل حواراته أن يقولها لي بمعناها الشعبي الدارج "الخو..." "محمد" كان يعتبر هذه الكلمة واقعًا وغير مهينة على الإطلاق. كان يقولها بأسلوب مائع لا أملك معه سوى أن أضحك. سألته: "بيتقابلوا فين يا فالح؟" أجابني بلهجة العارف بكل الأمور والخبايا: "المكان الرسمي ليهم في رمسيس عند الميدان في حلواني معروف هناك كلهم بيتقابلوا قدامه .. يلا شد حيلك علشان بعد امتحاناتك لازم نروح نتعرف على الدنيا هناك!!".

تسألني عن "هند"؟ طبعًا علاقتي بها انتهت .. أنا كنت أريدها أختا وصديقة وهي كانت تريدني الفارس الذي يحتويها ويهرب بها إلى عوالم من الرومانسية والحب .. والزواج! وأنا لست هذا الفارس ..

بل أنا مثلها ..
أبحث عن هذا الفارس!!
بعد انتهاء امتحاناتي بيوم واحد اتفقت أنا و"محمد" أن نتقابل في ميدان الجيزة حيث يسكن ، ثم ننطلق من هناك إلى ميدان رمسيس .. وهو ما حدث بالفعل. استقبلني صديقي بشكل حقيقي خال من الزيف أو المبالغة عندما تقابلنا. حضنني بقوة: "وحشتني جدًا يا أجمل حاجة في حياتي .. مش عارف أقولك أنا بحبك قد إيه .. إنت روح قلبي!".

كانت علاقتي بـ"محمد" علاقة غريبة بكل المقاييس. أحبني حبًا أخويًا جميلا لم أحظ به من أي زميل دراسة مطلقا. .. اعتبرني صديقه الوحيد وأنا أيضًا اعتبرته كذلك. كان دائما يقول لي: "أنت مثلي الأعلى"!
كنت أعلم جيدًا أن "محمد" حلم بدخول كلية الفنون التطبيقية. لأنه مثلي تمامًا يحب الإبداع في كل شيء. سرحت قليلا أفكر في علاقتي بـ"محمد" إلى أن قاطعني قائلا: "تعالى أوريك الشواذ بيقفوا فين" .. أخذني إلى محطة أتوبيس تسبق مسجد الفتح بأمتار قليلة. كان يوجد هناك حلواني شعبي

شهير ..

لاحظت بالفعل تجمعًا مريبًا في المكان، ولاحظت وجود عدد كبير من المثليين، اقترب منا شاب أسمر نحيل مائع، تبين من نظراته أنه يعرف "محمد" جيدًا، وتأكد لي هذا من طريقة السلام بينهما والتي تدل على معرفة سابقة، عرفني يه "محمد" قائلاً: "أعرفك .. "سونة" من المنصورة وقاعد هنا في شقة صغننة في بين السرايات اتعرفت عليه من كام يوم!" مددت يدي بالسلام إلى "سونة" فقال لي بطريقة مائعة: "أهلا بيك يا عسل .. إنت أمور" .. ابتسمت في خجل ونظرت للأرض فعلق قائلا: "إنت بتتكسف يا قمر؟" يااااه .. من قال لي هذه الجملة من قبل؟!

كان "سونة" شخصية واضحة جدًا .. من طريقته في المشي يمكنك أن تخمن أنه مثلي، أما طريقة كلامه وصوته فهما كارثة بكل المقاييس، يتحدث دائمًا بصيغة الأنثى .. أخذنا جانبًا من الشارع وتكلمنا في أمور عدة، لم تكن ميولي واضحة بشكل كامل لـ"سونة" لذلك سألني:

- إنت "توب" ولا "بوتوم" ولا "بوث"؟!

-مش فاهم .. يعني إيه "توب" ويعني إيه "بوتوم" ويعني إيه "بوث"؟!

- بتهرج .. هو لسه في حد ميعرفش الكلام ده؟!

- لأ بجد عايز أعرف!

- يا حبيبي "توب" يعني موجب و"بوتوم" يعني سالب .. و"بوث" يعني سالب وموجب في نفس الوقت! وفي معاني تانية كتير زي "باي" يعني ليه في الـ"Gays" وفي الستات كمان.

- أصل قريت في رواية للدكتور علاء الأسواني إن الموجب يعني "برغل" والسالب يعني "كوديانة"!

- ييه .. ده إنت عتيق قوي .. الكلام ده كان زمان .. دلوقتي النت عرف الناس حاجات كتير عن الموضوع ده!

- اللي يقول "برغل" وكوديانة" يبقى بيئة .. الدنيا اتغيرت يا حبيبي .. وبيني وبينك الثقافة الغربية مناسبة أكتر لعالم الـ"Gays" على الأقل هي ثقافة بتعترف بينا!

- هي ثقافة بتعترف بينا بس هي كمان ثقافة مجتمعنا مبيعترفش بيها أصلا!

- مش مهم مجتمعنا يعترف بيها أو ميعترفش

.. اعترافه مش هيقدم ولا هيأخر .. إحنا كده كده موجودين غصبن عن العادات والتقاليد!

نظرت له بتعجب فقال لي:

- يعني هقولك على حاجة يا معلم .. هنا في مصر الـ"Gays" بيتقال عليهم كلام "وسخ" كتير .. اللي يقولك ده "خ.." واللي يقولك ده "بيشيل أبح" واللي يقولك "ده بياخد فيها" لكن الغرب اختصر كل الموضوع في كلمة واحدة بس وهي "Gay" والموضوع انتهى!
- لأ يا "سونة" معتقدش إن الموضوع انتهى .. الغرب نفسه منقسم قسمين .. قسم بيرفض وجودنا وقسم مرحب بوجودنا.
- إحنا هنا في مصر نفسنا في فرد واحد يرحب بوجودنا .. مفيش حد متقبلنا خالص .. أغلبهم بيعتبرنا حيوانات عايزين الرجم!

الحوار مع "سونة" كان ممتعًا جدًا واستمر لوقت طويل .. لم أتخيل أن ذاك الشاب "المايع" بداخله كل هذا العمق .. ارتاح "سونة" في الحوار معي ..حكى لنا أنه جاء من المنصورة بعد أن "اتفضح" في البلد وأقاربه "هرشوه" .. وأصبح يشكل عارًا على عائلته، فقرر أن يترك حياته هناك ويقصد القاهرة حيث تعرف بصاحب معرض سيارات وتزوجه .. نعم "سونة" أخبرنا أنه متزوج من صاحب معرض سيارات بورقة زواج عرفي! وهذا الرجل يتحمل كل مصاريف "سونة" ودفع له مهرًا .. أثناء حديثنا مع "سونة" ناداه شخص من بعيد فتركنا قائلا: "ثواني يا شباب وراجعلكم" .. وبعد حوالي خمس دقائق عاد إلينا ونظر إلي قائلا: "تطلع مصلحة؟" قلت له "مش فاهم" .. قال لي شارحًا: "اللي نده عليا ده معجب بيك قوي .. وعايز يتعرف عليك هو عنده مكان في العباسية .. إيه رأيك تروح معاه؟!".

رفضت عرض "سونة"، وطلبت من "محمد" أن نرحل لأن "الجو مش عاجبني" .. قال لنا سونة: "براحتكم على العموم أنا هنا كل يوم لو احتجتوني هتلاقوني في نفس المكان ده" .. ثم نظر إلي:

- "إيميلي ورقم موبايلي مع "محمد" صاحبك أنا بدخل على الماسنجر بعد الساعة عشرة بالليل!".

وأنا أبتعد مع "محمد" لاحظت أكثر من "مثلي" في

المكان .. واضح حقا أن هذا مكان تجمع لهم!!

بمجرد ابتعادنا قال لي "محمد" بكل حسرة: "عيال ناصحة مش زينا .. بياخدوا فلوس وهدايا وعايشين حياتهم" ..
وأردف قائلا: "أنا لو منك كنت رحت مع الراجل اللي كان معجب بيك!".
نظرت لـ"محمد" بضيق ولاحظت انبهاره الشديد بالعالم الجديد الذي اكتشفه. قلت له: "محمد أنا مش حابب الجو ده ومش هاجي هنا تاني .. وبعدين أنا الموضوع بالنسبة لي حب مش علاقة جنسية وبس!" نظر لي "محمد" وكان واضحا أن كلامي لا يعجبه و"مش على هواه"!
وسمعته يردد: "هتفضل طول عمرك خايب"!

وسط الدايرة!

أكثر ما كان يؤلم هو أنني أصبحت أعيش حياة بوجهين، وجه أقابل به زملائي وأفراد عائلتي .. ووجه آخر لا ينكشف سوى في خيالاتي ومع "محمد" صديق عمري، كان الوجه الأول يمثل الشاب المحترم المثقف .. المتفوق في دراسته، الوسيم إلى درجة تثير إعجاب عدد كبير من البنات، بينما الوجه الآخر عشقت به الرجال

.... وبين الوجهين صاحبتني حالات شديدة من القلق والطمأنينة .. الاكتئاب وحب الحياة .. اليأس والأمل .. كنت حريصًا كل الحرص على أن أفصل تمامًا بين الوجهين .. كنت بعكس "محمد" لا أفضل أن يعرف سري أي شخص قريب مني، وهو الأمر الذي تمسكت به ووجدت فيه راحة كبيرة!!

كان هناك شيء ما داخلي يرفض هذه الازدواجية، وكنت أحدث نفسي دائمًا: "نفسي أكون إنسان عادي زي باقي الناس .. مش حابب إني مختلف .. يمكن كنت هكون سعيد بوضعي لو كنت في مجتمع بيتقبل المثليين .. على الأقل مكنتش هحس بتأنيب ضمير وتعب نفسي شديد، كان أكتر شيء بيتعبني هو نظرة أمي وأبويا ليا .. كنت بحس إن الناس البسيطة دي لو عرفت اللي جوايا هتجيلهم

صدمة ومش بعيد يروحوا فيها .. هما خلفوا راجل .. وعايزين طول الوقت يشوفوني راجل .. بس أنا "مختلف" .. مختلف خالص!!".

بدأت في هذه الفترة رؤية حلم معين يتكرر كثيرًا أثناء نومي ..
حلم؟!
هل هو مجرد حلم؟!
لا ..
إنه كابوس!!

لاحظ "محمد" أن هناك بعض الهالات السوداء تظهر تحت عيني..
أخبرته أن السبب هو كابوس يتكرر كثيرًا أثناء نومي مؤخرًا وهممت أن أقص عليه الكابوس لكنه صرخ قائلا: اوعى تحكيه لحسن يتحقق!!

"هدور على شغل يساعدني على توفير مصاريفي الدراسية" ..
قرار اتخذته وطلبت من "محمد" أن يساعدني على تحقيقه .. وجود "محمد" بجانبي بالتأكيد سيساعدني على تحمل أي ضغط سوف يواجهني في العمل، وبالفعل بدأنا رحلة البحث عن عمل مناسب، فقد كانت فكرة الاستقلالية وتقليد الشباب الغربي تسيطر على تفكيري، اشترينا عدد يوم الجمعة من جريدة الأهرام .. وبدأنا نبحث عن وظيفة صيفية مناسبة، وجدنا إعلانا يطلب شبابا وطلابا للعمل في "كوفي شوب" في منطقة المهندسين ..

اتصلت بالرقم وحصلت على موعد لي ولـ"محمد" مع مدير المكان، وذهبنا في الموعد المحدد، كان المدير شابا في العقد الثالث من العمر، اسمه "أشرف" .. وسيم ولطيف .. أعجبتني فيه بساطته وكونه ابن بلد .. وافق على أن نعمل معه أنا و"محمد" كمضيفين على أن يبدأ العمل من اليوم التالي!

غادرنا الـ"كوفي شوب" ونحن في قمة السعادة، لم أتخيل قط أن أعثر على عمل بهذه السرعة وبهذه البساطة .. لكن "محمد" لم يكن على ما يرام .. نظرت إليه فوجدته يبكي: "أنا مش حمل بهدلة الشغل .. أنا مش هقدر أروح معاك ..

ولو ماما سألتك قولها إن صاحب الكوفي شوب مكنش محتاج غير واحد بس وخدك إنت لأنها لو عرفت إني رفضت الشغل هتبهدلني!" حاولت أن أقنع "محمد" بألا يخاف من التجربة لكنه رفض ..وكان واضحًا أنني سأمر بهذه التجربة بمفردي ..

إذن حيّ على العمل!

حدوتة مصرية!

في اليوم التالي استلمت العمل .. وطلب مني الأستاذ "أشرف" ألا أفعل أي شيء في أول يوم عمل. فقط كانت مهمتي أن أراقب الويترات الآخرين في المكان بتركيز شديد لأفهم منهم الصنعة .. وكيف أكون "خفيفا في المكان أقوم بأشياء كثيرة في وقت واحد" .. وبالفعل بدأت أراقبهم بتركيز شديد فقد كنت أريد أن أتميز في العمل. .. "حدوتة" كان مكانا بسيطا بالنسبة لي، عرفت أنه في الأساس ملك لصاحب معرض موبيليات شهير، أي أن "أشرف" ليس مالكه .. بل هو مستأجر المكان.

مرّ اليوم الأول وأنا أراقب العاملين في "حدوتة" وفي اليوم التالي بدأت العمل الفعلي .. كان الموضوع بسيطا جدًا .. "تحت أمرك يا فندم .. تحب تشرب إيه؟ .. ولا تحب تتغدى؟" وأكتب الأوردر على فاتورة ثم أذهب لأحضر الطلبات ..

ومرت ثلاثة أيام على هذا الوضع، حتى طلبني "أشرف" وقال لي:

- "أنا حاسس إنك اتودكت يا "عصام" .. وعايزك تنزل شيفت بليل ..هتقدر؟".
- "هو في فرق بين النهار والليل؟".

قال لي ضاحكا:

- "فرق السما والأرض! بس الفلوس أحلى وهتعمل تيبس حلو".

بدأت في اليوم التالي العمل في الشفت المسائي الذي يبدأ من الساعة الثامنة مساء حتى الثامنة صباحًا .. لاحظت أن الزبائن عددهم أكبر بكثير

ونوعياتهم مختلفة تمامًا. فأغلبهم من الخليجيين
وفي الشفت المسائي تعلمت أصول النصب في
الشغل الذي يبدأ من فتح زجاجة مياه عادية من
الحنفية على أنها مياه معدنية .. وينتهي باللعب
في الفاتورة ووضع زيادات لا أساس لها من الصحة.
كانت هناك بعض الفتيات المصريات اللواتي يتكرر
وجودهن بشكل شبه يومي في المكان.. عرفت
بعد ذلك أنهن بنات "شغل" تابعات للمكان ..
وظيفتهن هي التعرف بالخليجيين ومن ثم تأتين
بهم إلى "حدوتة". "يدفعوا دم قلبهم" وفي نهاية
اليوم تذهب البنات مع العرب إلى شققهم وهذا
بالطبع له ثمن آخر. يعني من الآخر المكان كان أشبه
باستراحة دعارة لزبائن همهم الوحيد هو متعتهم
الجسدية!!

الدخل المادي من عملي في "حدوتة" كان رائعًا
بالنسبة لشخص في ظروفي .. لكن كان أكثر ما
يضايقني في المكان هو نظرات بعض الزبائن لي
والتي أرى فيها رغبة جنسية مثلية. رغم ذلك كنت
مصرًا على المحافظة على أكل عيشي. كنت أؤمن
تمامًا أنني هنا من أجل العمل فقط.

ما عجبت له حقا هو أنه رغم محاولاتي المتكررة
في أن أكون "ناشف" لأقصى درجة إلا أنني كنت أرى
نظرات إعجاب في أعين العديد من الزبائن العرب.
وكان بعضهم يطلب رقم موبايلي .. والبعض الآخر
يعطيني رقم موبايله طالبًا مني أن أتصل به لأزوره
في الفندق الذي يسكن به!!

كان العمل يستمر ١٢ ساعة يوميًا بدون إجازة
أسبوعية .. ولأن المكان كان كبيرًا جدًا وكانت
نظافته في نهاية الشيفت المسائي هي مسئوليتي.
أصبت بإرهاق وقررت أن أتركه بعد شهرين من العمل
المتواصل.. لكنني على الأقل استطعت أن أوفر مبلغا
كبيرًا من المال .. والبركة في التيبس!

لكن في الخلفية كان هناك سبب آخر جعلني أترك
العمل وهو "محمد" صديقي الذي افتقدته بشدة
واشتقت لخروجاتنا معًا في وسط البلد .. فطول
فترة عملي في الكوفي شوب لم أره مطلقا. وكنا
نكتفي بمكالمة تليفونية سريعة كل بضعة أيام.
لذلك كان أول شيء قمت به بعد تركي للعمل هو
الاتصال بـ"محمد" و"وحشتني ونفسي أتسرمح

معاك في وسط البلد!".

حرية!!

في هذه الفترة استطعت أن أشترك في خط إنترنت "دي إس إل" خاص بي وبدأت أدمن الإنترنت .. وتعرفت بالصدفة على موقع جنسي عالمي به أقسام لكل دول العالم، من ضمنها مصر، وعلى هذا الموقع قرأت إعلانات عدة لمصريين يرغبون في علاقات مع مثليين، وضعت إعلانا خاصًا بي .. وكتبت فيه: "هاي أنا بوتوم من القاهرة .. عايز أتعرف على "توب" محترم يحبني بجد" .. وتركت إيميلي منتظرًا العروض!

في اليوم التالي لوضع الإعلان تلقيت أكثر من إيميل بخصوص طلبي، لكني وجدت رسالة أعجبتني من شاب من الهرم .. كانت رسالة محترمة يعلن فيها رغبته في التعرف بي ووضع في نهاية الرسالة رقم تليفونه المحمول فاتصلت به:

- آلو مساء الخير .. إنت بعتلي إيميل بخصوص إعلاني على الموقع .. مش كده؟!
- أنا سعيد جدًا إنك اتصلت بيا، أنا اسمي "أحمد" عمري ٣٣ سنة من الهرم!

تحدثنا كثيرًا قبل أن يعترف لي "أحمد" أنه أعجب بصوتي وبشخصيتي وقالي لي:

- إنت باين عليك إنسان محترم أنا الصراحة اسمي "أسامة" مش "أحمد" وأوعدك مش هكذب عليك تاني!

اتفقت مع "أسامة" على أن أقابله في اليوم التالي في ميدان الجيزة أمام عمر أفندي، وفي الموعد المحدد انتظرته حتى جاء بسيارته السوداء الصغيرة، وهنا كانت الصدمة .. "أسامة" ملتح!

لم أخفِ على "أسامة" صدمتي من كونه ملتحيًا، لكن بعيدًا عن هذه النقطة كان "أسامة" وسيمًا.. ممشوق القامة .. أبيض .. شعره أسود ناعمًا وطويلا .. ولحيته أضافت له رجولة من نوع ما، جلسنا معًا في سيارته، تحدثنا كثيرًا وطلب مني:

- بلاش تسألني أبدًا أنا بشتغل إيه .. اتفقنا؟
- أنا مش حابب أعرف أي حاجة إنت مش حابب

تعرفهالي!

- إيه رأيك نروح البيت عندي .. أنا عايش لوحدي وممكن نتغدا مع بعض!
- معنديش مانع .. بينا على البيت!

كان "أسامة" يسكن في شقة صغيرة بالقرب من شارع العريش في الهرم، حين دخلت شقته، بدأت أخمن مهنته، مكتبة إسلامية كبيرة .. مصاحف في أكثر من مكان سجادة صلاة وأمامها حامل مصحف عليه مصحف كبير .. شعرت أنني في مسجد!

- إنت بتشتغل إيه يا "أسامة"؟
- مش اتفقنا مش هتسألني السؤال ده؟
- إنت وعدتني مش هتكدب عليا أبدًا..
- مش هقدر أقولك!

بدأت أخمن مهنة "أسامة" دون أن يخبرني تفاصيل.. وهو لاحظ ذلك.. فقال لي مبررًا:

- أنا لما بعمل الموضوع ده بزعل وبكون مكسوف من نفسي .. بس أنا واخد قرار على نفسي إني بمجرد ما هتجوز مش هغلط تاني أبدًا .. أنا ضعيف جدًا.. وربنا عالم بيا!!

بدأت أشعر بالشفقة على الشيخ "أسامة" .. وبدأت أشعر بميل غريب تجاهه.. لقد كان رومانسيا جدًا، وطيبته كانت واضحة:

- هعمل بيض بالبسطرمة ليك فيه؟!
- أنا دايس في أي حاجة!

انتهى "أسامة" من إعداد الطعام وتناولناه معًا، وبعدها طلب مني أن أذهب معه إلى غرفة النوم، قضينا فيها أكثر من أربع ساعات كاملة على سريره .. وكانت هذه هي العلاقة الأغرب في حياتي، وأخذت أتخيل نفسي وأنا أحكي لمحمد صديقي هذه التجربة الفريدة .. ترى هل سيصدقني؟

في المساء قابلت "محمد" على مقهى وادي النيل في وسط البلد .. حكيت له كل شيء .. نظر إلي في ذهول وقال:

- خلي بالك من الشيخ ده .. رجال الدين

أخلاقهم وحشة في الموضوع ده!

- مش فاهم يا "محمد" تقصد إيه؟

استطرد قائلا: "أصل الواد "سونة" مرة حكالي حكاية صعبة قوي عن رجال الدين .. قالي إنه اتعرف على شيخ وراح معاه بيته في عين شمس، لكن الشيخ طلع مش "Gay" وكان عايز يخلي "سونة" يتوب .. فضل يضربه بالكرباج والواد بقى يصرخ من الآلم، وفضل يضربه بالقلم على وشه ويقول له: "اوعى تفتن حد من المسلمين يا بن الكلب يا لوطي!!".

اقشعر جسدي مما حكاه "محمد" .. يا لها من تجربة قاسية جدًا مر بها "سونة" .. لكن الشيخ "أسامة" بالتأكيد يختلف .. لو كان ينوي أن يؤذيني ما الذي منعه من ذلك .. كنت عاريًا ضعيفا على سريره وكان قادرًا على أن يؤذيني، لكنه كان رومانسيًا جدًا معي .. لا أعتقد أن الشيخ "أسامة" بهذه الوحشية.

- عارف يا "محمد" أنا حاسس إن الشيخ "أسامة" هو الشخص اللي كنت بدور عليه من زمان، وحاسس إننا هنكون "Lovers" ناجحين جدًا أنا وهو .. و..

قاطعني صوت موبايلي يعلن استقبال رسالة .. وصوت "محمد" يردد:

- دي أكيد رسالة من حبيب القلب!

فتحت الرسالة وأنا أبتسم عندما طالعت اسم المرسل:

- نعم هي من الشيخ "أسامة" .. لكن مضمون الرسالة كان صادمًا:

- "حسبي الله ونعم الوكيل .. إنت فتنتني وخلتني أغضب ربنا .. بالله عليك متتصلش بيا تاني أبدًا"!!

أعطيت الموبايل لـ"محمد" ليقرأ الرسالة .. وسرحت قليلاً .. وصوت "محمد" على خلفية أفكاري:

- "سيبك منه .. يغور في ستين داهية هو الخسران" ..

لم أكن منصتا لـ"محمد" كنت أفكر: "أسامة" اختار ينهي علاقته بيا علشان مينهيش علاقته بربنا.. طب أنا علاقتي بربنا إيه أخبارها؟ أسامة غلط ورجع .. وأنا بغلط ومبرجعش .. وبعدين؟!

شوكولاتة!

في اليوم التالي تلقيت اتصالا هاتفيًا من "محمد" .. كان يبكي وهو يتكلم:

- بابا مات يا عصام .. الحقني!

أغلق "محمد" الخط باكيًا .. ارتديت ملابسي في سرعة شديدة، جريت على الشارع وأوقفت تاكسي وداخله أخذت أتذكر علاقة "محمد" بوالده الرجل الصعيدي كبير السن، الذي لم يكن "محمد" يحبه أو يتقبل وجوده على الإطلاق .. كان "محمد" يحلم بأب آخر .. أب تفصيل .. ربما رجل أعمال يملك الكثير من الأموال .. قادر على أن يلحق ابنه بجامعة خاصة في حالة عدم حصوله على مجموع كبير في الثانوية العامة، وكان محمد دائمًا يردد ساخرًا:

- هي فين الأبهات اللي معاها فلوس؟!

تذكرت المشاكل المستمرة بين "محمد" وأبوه، مشاكل كثيرة كان سببها الرئيس هو "شعر محمد" .. كان شعر "محمد" يسبب أزمة دولية كبيرة بينه وبين والده .. كان شعر محمد ناعمًا جدًا .. يعشق إطالته إلى لدرجة تجعله أقرب لشعر البنات، وهو ما كان يعتبره والده "ميوعة وقلة أدب" .. لكن "محمد" كان مصرًا على الاهتمام بشعره .. يشتري "حنة هندي" كي تقوم بتنعيم الشعر وتطويله.. كان يحب أيضًا الوقوف أمام المرآة لفترة طويلة .. وهو أمر رفضه والده دائما .. لأن "مفيش راجل محترم يعمل كده" على حد تعبيره، بينما اعتبر "محمد" أن الله جميل يحب الجمال!

وصل الخلاف في وجهات النظر إلى درجة قاطع فيها "محمد" والده لأكثر من سنتين وكان دائمًا يتحدث عنه بأسلوب غير لائق: "مبحبش الراجل ده .. يا ريت يموت ويريحنا" .. كان والد "محمد" يعمل في شركة حكومية كسائق عربة نصف نقل قبل أن يخرج على المعاش ويصبح في صدام مستمر مع "محمد".

تذكرت كل ذلك قبل أن أصل إلى بيت "محمد" في الشارع الضيق، وجدت زحامًا شديدًا ونساء يصرخن .. عندما لمحت صديقي جريت نحوه، واحتضنته بقوة ..كان يبكي وهو يقول:

- "مات وهو غضبان عليا يا "عصام" .. قبل ما يموت بيوم واحد كان عمال يدعي عليا .. مات وهو

مش راضي عني .. وهو كارهني"..

- "أنا حاسس بيك أكتر من نفسك، ومش هسيبك أبدًا .. متخفش مفيش أب بيدعي على ابنه من قلبه ... متخفش يا "محمد" .. هو أكيد بيحبك .. وأكيد راضي عنك!".

لمدة أسبوع كامل لم أترك محمد قط كان في حالة نفسية سيئة جدًا .. وكان مقتنعًا بأن والده توفي وهو غير راض عنه .. بعد مرور عشرة أيام فاجأني "محمد" بخبر جديد:

- أنا هربي لحيتي وهقرب من ربنا أكتر من كده .. أنا حاسس إن الموت قريب .. ادعي لي ربنا يتوب عليا ويغفر لي..

دخل "محمد" في حالة عزلة دينية .. وفي كل مرة أتصل به كان يجيبني قائلا: "سلام عليكم ورحمة الله وبركاته يا عصام".. و مع صوته كان يصل صوت الداعية "مصطفى حسني": لازم يكون لينا دور في نهضة مجتمعاتنا الإسلامية يا شباب ولازم نقرب من ربنا أكتر من كده!!

ولم يعد يسمع "محمد منير"!

أصبح "محمد" إنسانا آخر .. نادمًا على كل فعله في الماضي .. وأصبح الدين هو الموضوع الذي يحدثني فيه كلما ذهبت لزيارته .. لم نعد نتقابل في وسط البلد .. وبدأ يشترك مع بعض الشباب من جماعة التبليغ والدعوة في دعوة الناس للصلاة في المسجد .. وبدأ يخرج معهم في سبيل الله!

بدأ "محمد" يقصد مسجد يوسف الصحابي بمصر الجديدة .. ليحضر دروس الشيخ "مصطفى حسني"، .. وأخبرني أنه ينوى الدراسة في معهد إعداد الدعاة ليفهم الإسلام جيدًا!

لكن ككل الذين دخلوا باندفاع و تسرع في حالة التدين .. لم يستمر محمد كثيرًا كشاب ملتزم .. وعندما ذهبت لزيارته.. أخبرني أن شكله باللحية مش عاجبه وحاسس نفسه كبر في السن، وبعد فترة قام بحلق لحيته وعدنا مجددًا للتسكع في وسط البلد!

- "بقولك إيه يا "عصام"..

- خير يا "محمد"..
- هو إحنا هندخل الجنة ولا النار؟!

آخر سؤال توقعته من "محمد" .. لم أفكر من قبل في الطرح أو الإجابة على هذا السؤال .. ووجدت نفسي أجيبه:

- "مش عارف يا "محمد" بس اللي أنا عارفه ومتأكد منه أن ربنا رحمن رحيم .. وبيغفر الذنوب كلها إلا إن الواحد يكفر بيه، وإحنا عمرنا ما كفرنا بربنا سبحانه وتعالى"..

نظر لي وقال بصدق:

- آه لو ربنا يعرف أنا بحبه قد إيه ..

ثم نظر للسماء وقال:

- يا رب أنا بحبك ومؤمن بيك .. متزعلش مني وسامحني ..

نظرت إلى "محمد" بحنان وقلت:

- "متخفش ربنا كبير .. ورحمته كبيرة! بقولك ايه تيجي نقرا الفاتحة لباباك؟".
- يا ريت يا "عصام" أحسن ده وحشني قوي!

مشوار!

كنا نتجول في منطقة الإسعاف حين اكشفنا أن عدد عربات الآمن المركزي كبير جدًا، وطلب منا أحدهم بطاقاتنا الشخصية، سألني "محمد" "هي مظاهرات دي ولا إيه؟" وكان هناك تجمع كبير أمام نقابة المحامين، كانت هناك مظاهرة حاشدة لها علاقة بفلسطين .. وحمل بعض المتظاهرين بينهم ملتحون ومنتقبات لافتات مكتوب عليها .. "فلسطين في القلب" .. "غزة تنادي" .. "ماذا فعلنا من أجل فلسطين؟" .. "لا لمنع المساعدات عن أهلنا في فلسطين" .. وأحدهم يحرق علم إسرائيل.

علق "محمد" قائلاً: "الناس دي عبيطة ولا إيه .. بيتظاهروا ليه لفلسطين؟ هو مش أحسن يعملوا مظاهرات على البلاوي السودا اللي موجودة في بلدنا؟، المصريين دول شعب غريب مش عارفين حتى يفكروا صح لنفسهم".. !

"طب تعالى نمشي من هنا مش عايزين مشاكل مع أمن الدولة، أغلب اللي موجودين هنا إخوان مسلمين، وانت عارف أمن الدولة والإخوان عاملين زي القط والفار .. وبصراحة أنا شايف الاتنين أوحش من

بعض"..

- "بقولك إيه يا "محمد" تعالى نروح عند آخر ساعة أحسن. أصل خايف نقابل الواد حسين في رمسيس" ..

- "حسين" مين؟

- "سونة" .. هو مش سونة دلع حسين؟

- لا ده إنت فاهم غلط خالص .. "سونة" ده دلع سناء!!

- هو اسمه سناء؟!

- ده إنت غلبان أوي .. أصل كل واحد من الـ"Gayes" له اسم بنت .. شلة "سونة" فيها ولد اسمه "ميرنا" وولد اسمه "إنجي" وفي واد مكلبظ كده اسمه "ليلى" أصله شكل "ليلى علوي" بالظبط!!

أخذت أضحك .. وقاطعني "محمد":

- "عارف .. نفسي أسيب البلد دي وأهرب لمكان بعيد حتى لو كان "إسرائيل" .. أنا سمعت إن في مصريين كتير عايشين في إسرائيل ومبسوطين جدًا".

- وطي صوتك لحد يسمعك من المتظاهرين دول .. صدقني ممكن يقيم عليك الحد .. ومش بعيد يحرقوك إنت بدل علم إسرائيل!!

نبتعد والصوت مازال يتردد في المظاهرة: "تسقط إسرائيل المحتلة" .. وعلم آخر يحمل نجمة داود يتم حرقه!!

الشمس بتطلع مش خايفة!

كنت قد حصلت على تقدير جيد جدًا وبدأ العام الدراسي الجديد .. ورسب "محمد" في المعهد التجاري كما توقع هو شخصيًا .. وذات يوم قال لي:

- بقولك إيه أنا عايز أتعلم "فوتوشوب" ..

في أستوديو تصوير جنب بيتنا طالب شاب بيعرف "فوتوشوب" وأنا روحت له واتفقنا أجيله بعد شهر على ما أكون اتعلمت البرنامج ده كويس!

بدأ محمد يحضر معي محاضرات "الفوتوشوب" في الكلية. كان سريع التعلم. وكنت أساعده كثيرًا. كنا نطبق كل ما نتعلمه في الكلية على جهاز الكمبيوتر في بيتي. وأصبح "محمد" يجيد برنامج "الفوتوشوب" إلى حد كبير. وبالفعل استلم العمل في الأستوديو .. كانت مهمته واضحة ومحددة. وهي وضع خلفيات للصور التي يقوم صاحب الأستوديو

بالتقاطها للزبائن!

كانت لدى صاحب الأستوديو خبرة جيدة ببرامج التصميم، وبدأ يساعد "محمد" في التعرف بخبايا وخدع جديدة في برنامج الفوتوشوب، ولقد أحب صديقي هذا المكان وعشق كونه مصمم جرافيك، واستمر يعمل هناك لمدة طويلة، كنا نتقابل خلالها مرة كل أسبوع، الجميل أن "محمد" أجاد في هذا المكان التصوير الفوتوغرافي، وكان يقوم بمهمة التقاط الصور في غياب صاحب الأستوديو، وكنت أنا خلال هذه الفترة أجتهد في دراستي، وحصلت على تقديرات عالية، قلت حينها كثيرًا مغامراتنا العاطفية، لكن ميولنا المثلية لم تتغير.

أدرك "محمد" أنه يجب أن يحافظ على مصدر رزقه، لأن معاش والده لا يكفي متطلبات بيته، وقد أصبح هو "الرجل" الوحيد في البيت، بعد أن تزوج أخوه الأكبر وسافر إلى "دبي"..
سحب "محمد" ملفه من المعهد التجاري وقرر أن ينتظر بضعة سنوات حتى تكون قد مرت خمس سنوات على حصوله على مؤهل الثانوية العامة مما يؤهله للالتحاق بجامعة القاهرة.. التعليم المفتوح، لا يهم الكلية لكن المهم "إني أكون خريج جامعة .. لأن خريجين الجامعة مش أحسن مني في أي حاجة!!" كانت تلك قناعات صديقي!

جدية "محمد" لم تستمر طويلا .. ذات يوم جاء شخص للتصوير في الأستوديو، ولم يكن صاحب المكان موجودًا، دخل "محمد" معه إلى الغرفة الخاصة بالتصوير، وتمادت العلاقة بينهما لدرجة أن ذاك الشخص قام بتقبيل "محمد" طويلا، في تلك الأثناء دخل صاحب الأستوديو إلى المكان وفوجئ بما حدث!

تم طرد "محمد" بشكل مهين من المكان ..وصرخ صاحب الأستوديو في وجهه : "أنا مكنتش مرتاح لك من الأول .. كنت حاسس إنك منسون قوي . . مش عايز أشوف وشك هنا تاني .. يا شاذ يا بن الكلب!".
بحزن ويحكي لي "محمد":
"بس أنا مسكتلوش .. قلتله متجبش سيرة أبويا على لسانك .. أبويا أحسن منك مليون مرة" .. ثم أكمل : "قال لي لو أبوك كان أحسن مني، كان عرف

يربيك كويس ويخليك راجل!".
ترك "محمد" العمل في الأستوديو، ورفض صاحب المكان أن يعطيه أجر الشهر الأخير من العمل!!
شعر محمد بالأسى نتيجة ما حدث له: "الناس في البلد دي مش حابين وجودنا، آه لو أسافر أمريكا .. أنا سمعت إن الحياة هناك مفتوحة على البحري، والشواذ عايشين حياتهم وكمان بيتجوزوا .. ومحدش بيقرب منهم .. لا حكومة ولا ناس .. ياه لو مجتمعنا يكون كده هتبقى الحياة فل على الآخر!!".

خايف!

كنت يومها قد اتفقت مع محمد على أن نلتقي في وسط البلد ولما قابلته زف لي مفزوعًا خبرًا عن سونة : "مش أنا قابلت "سونة" .. مش اتمسك في جنينة الأورمان .. كان معاه "توب".

الحارس شك فيهم وفضل مراقبهم لحد ما شافهم بيبوسوا بعض جنب مزرعة الصبار، راح مبلغ عنهم وخدوه على النقطة .. طلعوا عين اللي جابوه الظابط خلى كل اللي موجودين في النقطة يعملوا معاه علاقة، وكهربوه ... الواد يا عيني اتبهدل .. إنت لو شفته مش هتعرفه، عقدوه في حياته!!".

- "يا نهار إسود .. معقول؟ طب كويس إنه خرج أصلا من القضية دي"!! ثم نظرت لـ"محمد" قائلا: "في حاجة غريبة في المجتمع ده .. الحارس ده بيشوف يوميًا عشرات الشباب شغالين مع بنات وبيتعامل مع الموضوع على إنه عادي .. لكن لما شاف "سونة" مع واحد من نفس جنسه قلب الدنيا .. مش غريبة دي؟!".

نظر لي "محمد" ورد قائلا: "هو لو عملنا مظاهرة قدام نقابة المحامين نطالب فيها بحقوقنا ممكن نظرة المجتمع تتغير لينا ونتعامل كويس في المجتمع ده؟".

ابتسمت لفكرة "محمد": "يا بني أول ناس هتطالب بإعدامك هما المحامين اللي إنت عايز تقف قدام نقابتهم .. المحامي في مصر ممكن يدافع عن مجرم أو قاتل أو حتى تاجر مخدرات بس يدافع عن حقوق "شواذ" .. أشك .. خصوصًا إن عدد كبير من المحامين في مصر مربيين دقنهم"!!

وحاسس بالخطر!

جلست في مقهى وادي النيل في وسط البلد مع "محمد" نتسامر.. و فجأة جاء "سونة" كان في حالة نفسية غير مستقرة .. وبدت لي نظراته مخيفة، تؤكد أنه مر حقا بتجربة صعبة جدًا .. لم أشأ أن أسأله عن تفاصيل حادث التعذيب الذي تعرض له .. وبدأنا نتكلم في موضوعات أخرى .. أخبرنا "سونة" أن أماكن تجمعات الـ"Gayes" تغيرت وأصبحوا يتجمعون أمام مطعم كنتاكي بوسط البلد، وعندما سألناه عن السبب قال "سونة": "أصل المكان القديم اللي كان في رمسيس اتبدر، وبقى بيلم ناس بيئة وحرامية ونصابين"، ثم واصل: " لكن هنا ناس نضيفة، وممكن تلاقي حد بيدفع كويس!!".

كان "سونة" من أغرب الشخصيات التي قابلتها في حياتي، كان نموذجًا مؤمنا بما يفعله بشكل غريب .. يعتبر أن تعرفه بإنسان "بيدفع كويس" رزق من الله سبحانه وتعالى، كان دائما يدعو بكل ثقة: "يا رب ارزقني بواحد بيدفع كويس عشان أعرف أدفع إيجار الأوضة اللي أنا قاعد فيها في بين السرايات!".

لاحظ "سونة" أني أتعجب من انسجامه بين نظرته للدين والمثلية، فقال لي موضحًا: "أنا عارف إن ربنا هيسامحني لأنه هو اللي خلاني كده أنا مليش ذنب، اتولدت كده وكل رغباتي للرجالة، ومحدش يقدر يعيش في الدنيا من غير رغبة .. الشباب العادي بيفضل يغلط لحد ما يتجوز، لكن إحنا معندناش أي حل تاني، نعمل إيه؟ نعيش من غير علاقات؟! مين قدر يعيش من غير علاقات جسدية؟!".
كان منطقا غريبًا من "سونة" .. برر من خلاله وضعًا يرفضه المجتمع والعادات والتقاليد وقبل كل شيء الدين .. أنقل عيني ما بين "محمد" و"سونة" وأنظر لنفسي في مرآة أمامي في المقهى .. وأتساءل: "هو آخرة الطريق ده إيه؟".

لا يمكن!

كنت حينها قد بدأت أفكر كثيرًا في الانتحار .. شعرت أنني غير سعيد بوضعي في هذا المجتمع، الذي يرفض أن يحترم كوني "مختلفا" .. ومازال الكابوس يتكرر كثيرًا أثناء نومي.

"عدم استقرار نفسي" كان الوصف الأفضل لحالتي وتساءلت كثيرًا: "ليه المجتمع الشرقي بيتعامل بقسوة مع المثلية الجنسية؟" كنت أعتبر نفسي نموذجًا لشاب "مثلي" لم يكن مذنبا في كونه مثليًا .. فلمَ لا يتقبلني المجتمع كما أنا .. ولماذا يكون القتل هو مصيري لمجرد أنني أعيش في مجتمع محافظ . كانت الأسئلة كثيرة .. ولم يكن مسموحًا لي أن أطرحها أمام أي فرد حتى لا اتهم بالجنون!
رغبت دائمًا في التحدث مع رجل دين مسلم يمكنه أن يتقبل أسئلتي الممنوعة ويجيب عليها، كنت أدرك جيدًا أن هذا الأمر ليس بالسهل مطلقا في مجتمع أدمن عدم الاقتراب من موضوعات كثيرة .. على رأسها المثلية الجنسية، لم أعد أعرف هل أنا سعيد بكوني مختلفا جنسيًا؟ هل يمكنني أن أصبح (طبيعيًا) يومًا ما؟
وذات يوم تطلب مني مشروع دراسي، أن أقصد مسجد "عمرو بن العاص" بمنطقة مصر القديمة، كانت المهمة أن ألتقط صورًا للمسجد تظهر أصالته، والجانب الروحاني فيه، دخلت المسجد، وهناك التقيت بالشيخ "صلاح" كان شابًا جميل المظهر ملتحيًا .. طلبت منه أن ألتقط له بعض الصور فلم يعترض، وبدأت أتحدث معه، كان مثقفا، ملتزمًا، وبدا أن التحاور معه سيكون سهلا، وجدت نفسي أسأله:

- عندي مشكلة كبيرة ومش قادر أقولها لأي شخص، محدش هيقبل كلامي وهظهر بعده بمظهر الكافر!
- أنا هتقبل كلامك وهحترمه مهما كان وبإذن الله هترتاح جدًا بعد ما تتكلم معايا .. أنا مقتنع إن مفيش مشكلة في الدنيا ملهاش حل!
- خايف إنك متتقبلش كلامي وتتصدم منه!
- استعين بالله ومتخفش!

شعرت حينها براحة للشيخ "صلاح" لم أعرف لها سببا .. وبدأت أفضفض له عما كان يجول بخاطري من أسئلة:

- تفتكر هيكون في الجنة علاقات جنسية مثلية، ويعني إيه "ولدان مخلدون؟!".

- تعالى نتفق على شيء .. وهو إن أمر الجنة كما ورد في الآيات والأحاديث "فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر".. فالله وحده أعلم كيف يُسعد أولياءه وأحباءه، ولا يجوز أن نضع معايرنا الدنيوية في الجنة!

ومبتسمًا أكمل حديثه:

- أنا بكون متضايق لما بشوف بعض الناس بتنحرف بتفكيرها في الحديث عن "الغلمان المخلدين" في الجنة بأنهم بينتموا للمثلية الجنسية .. رغم إنه مفيش أي نص مقدس في أي دين بيؤيد الرأي ده، وكل ما يفهم من وظيفة "الغلمان المخلدين" إنهم خدم في الجنة!

- أنا مرة قريت في تفسير للغلمان المخلدين إن الفكرة إن العرب مشهورين من مئات السنين بحب المثلية الجنسية أكتر من أي حد تاني، وعلشان كده ربنا وعدهم بـ"الغلمان المخلدين" كحافز ليهم على الإيمان والجهاد علشان يوصلوا للجنة، وهناك هيلاقوا الولدان المخلدون!

- مختلف معاك .. وشايف إن ده استدلال فاسد، على حد علمي مفيش أي دراسة أكدت إن في جنس معين عنده ميول جنسية مثلية أكتر من غيره!

- طب المثليين ذنبهم إيه .. مش ربنا اللي أراد إنهم يكونوا كده؟!

- أنا فاهم سؤالك جدًا، بس لازم نسلم بحكمة ربنا سبحانه وتعالى، وعدله في كل ما خلق وأبدع، لكل خلق وظيفة وغاية ممكن نفهمها وممكن منفهمهاش، وقياسًا على الكلام ده بنقدر نستوعب خلق الله تعالى لأشخاص معوقين جسديًا أو ذهنيًا، وللحشرات والوحوش، والزلازل والبراكين والبرق والرعد، وغيرها .. وخد بالك إن الحاجات دي ممكن نشوفها ملهاش أي فايدة، وممكن كمان تبان إنها مضرة، ولكنها حكمة الله في خلق الشيء ونقيضه، وفي بيان القواعد والاستثناءات..

صمت قليلا ثم أكمل حديثه معي:

- لازم تعرف إن المثلية الجنسية للي بيلاقيها في نفسه ومبينشطهاش هي ابتلاء، والله سبحانه بيمنح الثواب على الصبر على الابتلاء، وبيقدر كل أمر بقدره، ولازم تعرف إن مفيش شك في عدله ورحمته، هو الخالق وله الحق أن يبتلي من شاء بما شاء ويحاسب كل شخص على ما فعل في ابتلائه.. ومش بس المثلية هي الابتلاء الوحيد .. الفقر ابتلاء

..الغنى ممكن يكون ابتلاء، النجاح ممكن يكون ابتلاء، والفشل ابتلاء، والصحة ابتلاء، والمرض ابتلاء!

- طيب إيه الحكمة في تحريم المثلية .. مع إن الفقر مش حرام .. وابتلاءات كتيرة مش حرام؟!

- التحريم مبيقومش على المنطق البشري، لكن بيقوم على حكمة وإرادة إلهية، فالخالق سبحانه هو اللي بيحرم ويحلل لحكمة يعلمها وإحنا كل دورنا نقول: سمعنا وأطعنا، بس في ناس بتقول سمعنا وعصينا، والجزاء بيترتب في النهاية على قدرتنا على التعامل مع القوانين الإلهية.

نظر لي الشيخ "صلاح" مبتسمًا وقال:

- لو وسائل المساعدة للمثليين قاصرة في الوقت الحالي، فده مش مبرر لاعتبار المثلية مستحيلة العلاج، في كتير من الاضطرابات والأمراض اتأخر اكتشاف علاجها لقرون.

- بس الموضوع مش بالبساطة دي .. الموضوع صعب قوي بجد!

- بص .. في حاجة مسلّم بيها شرعًا وهي أن الإنسان مسئول عن ممارساته، أما اللي بيحصل على مستوى فكره ومشاعره وبس فهو في عفو الله عز وجل، والله لا يكلف نفسًا إلا وسعها، ومينفعش المثلي يقول أنا مش قادر أتحكم في نفسي، لأن التحكم في الغرائز مطالب به كل البشر على حد سواء، وأي جهد يبذله المثلي ليعود أو يقترب من الفطرة السليمة هو في المفهوم الديني مجاهدة للنفس يحتسب أجرها عند الله تعالى، وأي ألم بيتألمه المثلي بسبب رغبة جواه مش عارف مصدرها، بتكون في ميزان حسناته لما بيظبطها ويسيطر عليها .. والجنس في النهاية طاقة بتأخذ مسارها حسب الظروف المحيطة بيها، ويمكن مع الصبر والمثابرة أن تتحول من اتجاهاتها المنحرفة إلى اتجاهات سوية وإيجابية إذا صدقت النية وصح العزم.

أثر بي كلام الشيخ "صلاح" بشكل كبير، جعلني أعلم أنني أمشي في طريق لا نهاية له، كنت تائهًا، لكنه لم يقدم لي الحل .. لم يقدم لي الراحة التي كنت أبحث عنها، بل أصابني بحيرة أكثر وقلق نفسي مستمر ..

حاول تتغير .. ومسيرك تقدر!

على الماسنجر رحت أدردش مع "محمد"، أخبرني أنه تعرف بشخص من خلال الإنترنت، واتفق معه على أن يلتقيا في منطقة أرض اللواء بالجيزة، كان "محمد"

معجبًا جدًا بهذا الشخص رغم أنه لم يقابله من قبل، وأخبرني أنه سيذهب للتعرف به لأنه شعر بأنه إنسان محترم، وجدع، تمنيت له التوفيق .. وخرج للقاء ذلك الشخص!

بعد حوالي ثلاث ساعات ظهر على موبايلي رقم غريب .. لم أرد من أول مرة لكن إلحاح نفس الرقم جعلني أرد:

- آلو.
- إنت فين يا "عصام"؟ .. الحقني .. أنا في أرض اللوا تعالى خدني بسرعة!

عرفت من "محمد" العنوان الذي كلمني منه .. كان كشك سجائر في منطقة أرض اللواء وبالتحديد في طريق المعتمدية، أسرعت للمكان وأنا أتساءل: "خير اللهم اجعله خيرا!".

كان "محمد" في حالة نفسية سيئة جدًا، ملأت كدمات عدة وجهه، وكان شعره متربًا، و..

- ادفع تمن المكالمة لصاحب الكشك .. وبعدين هعرفك كل حاجة..

دفعت ثمن المكالمة وعدت إليه مسرعًا وأنا متوتر - فهمني يا "محمد" هو إيه اللي حصل بالظبط؟!

- "ابن الكلب الحيوان طلع نصاب خدني في منطقة زراعية جنب المحور، ولقيت اتنين مستنيينه هناك .. ضربوني وخدوا تليفوني ومحفظتي وكل الفلوس اللي كانت معايا وقلعوني الجاكت بتاعي!!".

مصدومًا نظرت إليه، وطلبت منه أن يتماسك..

- تعالى نروح نعمل محضر في القسم .. مش إنت معاك رقم موبايله؟
- رقمه متسجل في موبايلي وهما سرقوا الموبايل .. وبعدين هنروح نعمل محضر نقول فيه إيه .. إنت عايز يحصلي اللي حصل لـ"سونة"، دي فضيحة يا "عصام!!".

أوقفت تاكسي وركبت مع "محمد"..

- طب إنت هتيجي معايا البيت .. تاخد دش وترتاح شوية وتبات معايا .. حاول تنسى الموضوع ده خالص يا "محمد"!
- أنساه؟ عمري ما هنساه أبدًا .. أنا اتبهدلت،

خدوني في الزراعة وبهدلوني وواحد منهم اتبول عليا، وشتموني والحيوان ابن الكلب كان معاه مطواة وكان عايز يقطعلي "...."!!

- خلاص يا "محمد" متكملش .. اهدا شوية وصلي على النبي!

نظر سائق التاكسي إلينا من المرآة الأمامية و خاطبنا : "هو في حاجة يا أساتذة؟"

أجبته : لأ يا أسطي .. مفيش حاجة .. كله تمام!

لا أعرف لماذا تذكرت حينها رواية "كل شيء هادىء على الجبهة الغربية" للروائي الألماني إريك ماريا ريمارك .. حيث قتل البطل وقتلت معه كل أحلامه وهمومه وطموحاته، ورغم كل شيء ظل كل شيء هادئا على الجبهة الغربية!!

في قلوب الناس!

عثر "محمد" على عمل جديد في المعادي، في مكتب صغير للدعاية والإعلان .. كانت مهمته عمل كروت شخصية وبعض المنشورات الخاصة بالشركات، كان راتبه الشهري جيدًا .. تعلم "محمد" من تجربته في الأستوديو، أن يحترس جيدًا في علاقاته، وأن يخفي تمامًا ميوله الشاذة، لم يكن يريد أن يطرد مجددًا خاصة أنه لم يعثر على هذا العمل إلا بعد أن أصبح زبونا دائما لجريدتي "الوسيط" وعدد يوم الجمعة من جريدة الأهرام.

في تلك الفترة تعرف "محمد" بشاب من محافظة سوهاج يعمل في شركة مقاولات في مدينة السادس من أكتوبر .. كان تعارفهما في "مترو الأنفاق" .. و نشأت بينهما علاقة ثابتة، لم أقابل ذلك الشخص قط، لكن الواضح أنه كان مناسبًا لمحمد بالقدر الذي جعل حالته النفسية مستقرة، ولم يعد يفكر في إقامة أي علاقات أخرى!

تملكتني رغبة قوية في جمع معلومات عن كل ما يتعلق بعالم المثلية الجنسية، أردت أن أعرف هل هو مرض يمكن العلاج منه، أم أن المثلي سيظل للأبد مثليا!؟

سارح في غربة بس مش مغترب!

كان هناك شيء ما ينقصني .. شيء لن يشعر به

إلا من كانت ميوله مثلية .. لم يكن الموضوع بتلك البساطة التي يتحدث بها الناس العاديون عن المثلية، ما ذنبي في أن ميولي مثلية؟

لماذا يطلب مني أن أمنح مشاعري لجنس لا أتقبله ولا أحبه؟ .. كنت أشعر باشمئزاز شديد من الجسد الأنثوي .. لم أحب الفتيات قط، ولم أتصور نفسي في علاقة مع فتاة مطلقا .. كنت أشعر بالغثيان عندما أتخيل نفسي مع فتاة ..

صراعات انفجرت في داخلي وكانت حالتي النفسية غير مستقرة في تلك الفترة ولم أتوقف عن التفكير ..

"دماغي هتنفجر!" كانت هذه هي الجملة التي تختصر مشاعري.

أعشق لياليكي من طسة!

القاهرة - جاردن سيتي - أحد مراكز حقوق الإنسان!

وصلتني على الفيس بوك دعوة لحضور ندوة في أحد مراكز حقوق الإنسان، كان موضوع الندوة هو تقبل الآخر في الثقافة العربية، وكان الموعد مناسبًا لي ولصديقي "محمد" فقررنا الحضور!

في جاردن سيتي كان مقر المركز الذي ستعقد فيه الندوة، جلست مع "محمد" .. كان عدد الحضور معتبرًا ، كانت ورشة عمل أكثر منها ندوة، المحاضر كان شابا في العقد الثالث من العمر .. بدأ الورشة بمقدمة أثبت فيها أن الثقافة المسيطرة على العقول العربية ترفض الآخر دائمًا ولا تتقبل من يختلف معها.

شعرت برغبة في المشاركة .. رفعت يدي بخجل لكن نظرة المحاضر الذي كان اسمه "حسام" كانت مشجعة جدًا:

- اتفضل .. بس يا ريت تعرفنا بنفسك الأول!
- أنا اسمي "عصام" .. حضرتك عمال تتكلم عن تقبل الآخر وأنا عايز أسألك سؤال: هتعمل إيه لو اكتشفت إن أقرب أصدقائك شاذ جنسيًا؟!

رمقني الحضور بنظرات كالأسهم وشعرت بخجل شديد لكن إجابة حسام كانت رائعة:

- أولا متقولش شاذ جنسيًا لإنه مش شاذ هو طبيعي!! والأفضل نسميه مثلي وليس شاذ .. أحب أعرفك إن عندي أصدقاء كتير مثليين، وبحبهم وبحترمهم جدًا، وبحترم كمان حريتهم الجنسية، مع العلم بإن في منهم ناس من أهم الشخصيات في

المجتمع المصري، أنا شخصيًا مبعتبرش المثلية مرض، وشايفها أمر عادي موجود في كل المجتمعات، إحنا بس محتاجين نظرة جديدة لهذه الفئة، إيه المشكلة إن يكون عندي صديق مثلي؟ المثلية الجنسية مش عدوى ولا مرض قاتل!!

شجعتني إجابته على مواصلة الحوار معه:

- كلام حضرتك جميل .. بس المثليين صعب يعلنوا عن نفسهم .. لأنهم هيتعرضوا لمضايقات كتير جدًا في المجتمعات العربية .. ممكن توصل لحد القتل!

- ومين مبيتعرضش لمضايقات في المجتمعات العربية؟ .. التيارات الدينية .. الأحزاب السياسية .. المدونين .. أي حد عنده فكر مختلف .. المجتمعات العربية نموذج متميز لرفض الآخر .. من خلال القمع .. التعذيب .. الرفض!

- طب والحل؟!

- أنا مش غاندي اللي حرر شبه الجزيرة الهندية من الاستعمار الإنجليزي، ولا مارتن لوثر كنج اللي كان السبب في القضاء على كافة أشكال التمييز ضد السود في أمريكا، يعني باختصار الحل مش هقدر أحطه أنا .. ممكن نحطه أنا وأنت وغيرنا .. ثقافة تقبل الآخر لازم تكون موجودة في المجتمع مهما كان الآخر ده مختلف عني وعنك .. المثليين أمر واقع .. موجودين في كل مكان .. ممكن أقرب الناس ليك يكون مثلي وإنت متعرفش .. ليه ممكن شخص يسيب أصحابه لمجرد إنهم مثليين .. ليه ممكن أب يقتل ابنه لمجرد إنه مثلي .. ليه الفئة دي تتعرض لنبذ وعنف وتجريح وإهانات؟ المفروض إننا كلنا بشر، واحترامي ليك مش بحدده بمدى اتفاقك أو اختلافك معايا، لكني بحدده لأنك إنسان قبل كل شيء!

"إحنا مش جايين هنا نتكلم عن الشواذ".

صرخت إحدى المشاركات في الندوة بغضب ..

أجابها حسام بهدوء: إحنا هنا عشان نتكلم عن الآخر .. والمثلي مجرد آخر لازم نتقبله!

تكلم أحدهم بغضب:

- يا أستاذ العالم كله بيرفض المثليين وانت عايزنا نقبلهم؟

بهدوء أجاب حسام:

- الكلام ده مش صحيح، العالم المتقدم بيتجه في الوقت الحالي لإقرار وثيقة دولية بتحمي حقوق المثليين في العالم كله، من خلال مبادئ يوجياكارتا،

وهي مبادىء بتجبر الجميع على تطبيق القانون الدولي لحقوق الإنسان في الأمور المتعلقة بالميل الجنسي والهوية الجنسية. وبكرة مصر كنظام هتكون ملزمة باحترام الحرية الجنسية!

"دي قلة أدب" .. قالت إحدى المشاركات وخرجت من القاعة وسط همهمات الحضور، وبدأ أكثر من شخص يعترض على تقبل حسام للمثليين واختلطت الأصوات "ده ضد مبادئنا" .. "الكلام ده ضد عادتنا وتقاليدنا" .. "ده الغرب الكافر عايز ينشر ثقافته في مجتمعاتنا" .. وصرخ أحد الحاضرين:
"دي أجندة محطوطة عشان تدمير شبابنا وحضرتك بتشارك فيها"..!!

تعامل "حسام" مع المختلفين معه بهدوء، كان مقتنعا تمامًا بما يقوله، واعترض على كلام أحد المشاركين الذي أكد أن إقامة الحد الشرعي ضد المثليين هو أفضل حل لإنقاذ المجتمع من "سرطان" هؤلاء "الشواذ" على حد تعبيره.. حينها وضح حسام أن تجريم السلوك المثلي الطوعي بين البالغين ينتهك تدابير حماية حقوق الإنسان لخصوصية الأفراد وحرية الفرد في بدنه بموجب القانون الدولي!!
وهذا ما أثار عاصفة من النقد في الورشة!
كان "حسام" أول نموذج أقابله في حياتي يتكلم عن المثليين بكل هذا الحماس والإنسانية والاحترام، جعلني لا أخجل من وضعي كشاب مثلي يعيش في مجتمع شرقي يجرم مشاعري ويجرم وجودي في الحياة!

أضافت هذه الورشة معلومات وخبرات مهمة لرصيدي في الحياة، كانت ورشة "إنسانية" في الأساس لن أنساها بسهولة!

ما بين كلام الشيخ صلاح وحسام وقفت حائرًا .. الأول ينصحني بالسعي كي أصبح طبيعيًا والثاني يؤكد لي أنني بالفعل طبيعي .. وداخلي صراعات وآلام لن يشعر بها إلا المثلي!!

أنا حاسس دمي هيتصفى!
الكابوس يتكرر مجددًا..
العرق يغمر جسدي..
على كوبري قصر النيل وقفت أحمل بين يديّ لافتة

بيضاء مكتوب عليها "أنا مثلي .. أنا إنسان" .. ينظر لي المارة بتعجب شديد .. أحدهم يسأل زميله: هو يعني إيه مثلي؟ يهز زميله كتفيه: مش عارف!
على طرف الرصيف توقف سائق تاكسي وأخرج رأسه: مش مكسوف من نفسك .. إتفو إخص على الرجالة!
سألت سيدة زوجها: هو يقصد إيه بكلمة مثلي؟
فرد زوجها بعنف: عيب يا ولية .. دي كلمة قبيحة!
بائع زهور سأل شابًا يقف عنده: يعني إيه مثلي؟!
ويرد الشاب: يعني "اللهم احفظنا" بتاع عيال يا حاج!!
شيخ نظر لي بغضب وسمعته يدمدم: جهنم وبئس المصير!!
بينما توقف أمامي شاب خجول وقرأت في عينيه نظرة دعم تقول: وأنا أيضًا مثلك .. مثلي!
نغمة تليفوني المحمول أعلنت أن رسالة خاصة وصلتني .. كانت من حسام .. تقول :"أنا معك"..
ومن مسجد عمر مكرم ارتفع صوت الأذان..
ومن بعيد تقترب سيارة شرطة وتتوقف أمامي ..
وصوت محمد منير يتردد ..

لا يهمني اسمك لا يهمني عنوانك
لا يهمني لونك ولا ميلادك .. مكانك
يهمني الإنسان ولو ملوش عنوان
هي دي الحدوتة!!

تمت



أشكرك

لأنك دوما لى الأخ الذى لم تلده

أمي

أشكرك لأنك علمتني الإصرار

على النجاح

أشكرك لثقتك في إخراج هذا

الكتاب للنور

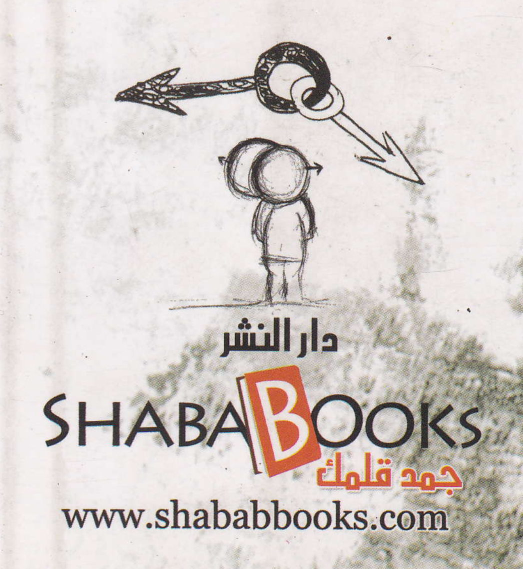
دار نشر شباب بوكس



مصطفى فتحي

إنسان مصري .. وبس

أنا هنا لا أروّج لأي فكر من أي نوع، ولا أقوم بدور القاضي
الذي يحاسب البشر على أفكارهم واختياراتهم،
فقط أطلب منك أن تقرأ كتابي هذا بهدوء وتعطي
لنفسك فرصة للتعرف بعوالم جديدة من الخبرات والتجارب
.



دار النشر

SHABABOOKS

جمد قلمك

www.shababbooks.com



Designed by Ahmed badr